

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الهادي للتي هي أقوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جلَّ عن الشَّبه والنَّد والمثيل، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى وأرشد به من الغي وفتح به أعينا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غُلْفًا. صلى الله عليه، وعلى آله وأزواجه الطاهرات أمّهات المؤمنين، وعلى صحابته، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

□ أما بعد:

فإن دين الإسلام، هو الدين الذي قد رضىه الله لعباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

وإن الناظر لقواعد هذا الدين، يرى أن من أصوله ومبانيه العظام، الأمر بالائتلاف والاتحاد والتعاون والتماسك بين أفرادهِ ونبذ الخلاف

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

وأسباب الشقاق والتناحر والتطاحن ، وذم التعادي والتفرق ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ * وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾ .

فقد خاطب الله جل وعلا عباده المؤمنين بلزوم تقواه ، وبالاعتصام والتمسك بدينه ، والحذر من التفرق عن الحق ، وذلك بوقوع الخلاف بينهم والشقاق كما كان الأمر في الجاهلية ، وذكرهم سبحانه وتعالى بما أنعم به عليهم من المحبة والألفة والاجتماع والأخوة في الله بعد العداوة المقيتة .

قال القرطبي : «فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه ، والرجوع إليهما عند الاختلاف ، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً ، وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشئ ، الذي يتم به مصالح الدنيا والدين ، والسلامة من الاختلاف ، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين» (٢) .

ونستطيع القول بأن القاعدة الأساس في الائتلاف والاجتماع ، تكمن في التمسك والاعتصام بالكتاب والسنة ، كما درج على ذلك سلف هذه الأمة .

(١) سورة آل عمران الآيتان : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) تفسير القرطبي ١٤٠٦/٢ .

ورحمَ اللهُ الإمامَ العَلَمَ الحافظ ابن قَيِّمَ الجوزية عندما بيَّن حقيقة الاعتصام بالكتاب العزيز. فقال: «وهو تحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم، ومعقولاتهم، وأذواقهم، وكشوفاتهم، ومواجيدهم، فمن لم يكن كذلك فهو مُنسلٌ من هذا الاعتصام.

فالدين كُله في الاعتصام به وبجبله علماً، وعملاً، وإخلاصاً، واستعانةً، ومتابعةً، واستمراراً على ذلك إلى يوم القيامة»^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: «الاعتصام: افتعالٌ من العصمة، والمراد: امتثال قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً﴾. الآية»^(٢).

والمراد بقوله تعالى: ﴿بحبلِ الله﴾: «... المراد بالحبل: الكتاب والسنة على سبيل الاستعارة، والجامع كونهما سبباً للمقصود، وهو الثواب والنجاة من العذاب، كما أنَّ الحبل سببٌ لحصول المقصود به من السقي وغيره، والمراد «بالكتاب»: القرآن المتعبد بتلاوته، «وبالسنة» ما جاء عن النبي، ﷺ، من أقواله، وأفعاله، وتقريره، وما همَّ بفعله»^(٣).

أما معنى ﴿ولا تفرقوا﴾، قال القرطبي: «كما افترقت اليهود والنصارى في أديانهم، عن ابن مسعود وغيره، ويجوز أن يكون معناه: ﴿ولا تفرقوا﴾ متابعين للهوى والأغراض المختلفة، وكونوا في دين الله إخواناً، فيكون ذلك منعاً لهم عن التقاطع والتدابير...»^(٤).

(١) مدارج السالكين ٣/٣٢٣.

(٢) فتح الباري ١٣/٢٥٩.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) تفسير القرطبي ٢/١٤٠١.

لقد اهتم الإسلام بالتآلف ونبذ التنازع والتنبّه من خطر الاختلاف المذموم، الذي يؤدي إلى تمزيق وتفريق الأمة المسلمة.

اهتمّ بذلك الأمر لتعيش أمة محمد، ﷺ، في خير ووثام، تحت ظلّ راية التوحيد، ولتحقق العبودية الحقّة لله سبحانه وتعالى.

وإنه إذا حلّ الاختلاف المذموم في الأمة، تفككت روابطها، وتفرّق جمعها، وتقطعت صلاتها، وتبعثرت قوّتها، وحلّت فيها الفوضى، وأصبحت لقمةً سائغةً للأعداء.

إنّ الاختلاف بابٌ واسع وعريض، وإنّ الاختلاف في مسائل فقهية مذهبية ليس ممّا يؤدّم، فهذا يخضع للاجتهاد والفهم وقوة الأدلة، وله بحث مستقل، فليس هو ممّا نقصده فليُتأمل ذلك.

إنّما الأمر المذموم هو الاختلاف في أصول الدين، وهو ما سنتناوله بعون الله - تعالى -.

□ **تنبيه:**

لا بدّ لنا في البداية أن نُحدّد ونُميّز بين مدلول الاختلاف، ومدلول الافتراق، لأنّ بينهما تشابهاً، وبينهما عموم وخصوص. فما هو الاختلاف يا ترى؟ وما هو الافتراق؟

□ **معنى الاختلاف:**

إنّ معنى الاختلاف هو: «أن يأخذ كلّ واحد طريقاً غير طريق الآخر،

في حاله أو قوله ، والخلافُ أعمُّ من الضدِّ ، لأنَّ كلَّ ضديْن مختلفان ،
وليس كلُّ مختلفين ضدين ، ولَمَّا كان الاختلافُ بينَ النَّاسِ في القولِ قد
يقتضي التَّنَازُعَ استُعِيرَ ذلكَ للمُنَازَعَةِ والمجادِلَةِ . . . »^(١).

إذن يمكن أن نقول إنَّ الخلافَ يدلُّ على تباين في الآراء والمواقف
حول أمرٍ من الأمور ، واختلاف في وجهات النَّظر ، وهو أعمُّ من التَّفَرُّق ،
فليس كل خلاف يعتبر تفرقاً .

ووقوع الاختلاف بين البشر أمرٌ قدرى ، فقد وقع من وقت هابيل
وقايل ، ووقع في كل عصر من العصور . وسنبيِّن أنَّ الاختلاف من سُنَنِ الله
الله تعالى ، لكنَّ قَبْلَ ذلكَ نذكرُ أنواعَ الاختلاف .

□ أنواع الاختلاف:

إنَّ هناك نوعين من الاختلاف :

الأوَّل : الاختلاف المحمود .

وهو الاختلاف الحاصل نتيجة الاجتهاد ، وتفاوت الأفهام ، وتباين
الآراء ، في قضايا متفاوتة .

الثاني : الاختلاف المذموم .

وهو الاختلاف في أصول الدين ، وهذا شرٌّ وداءٌ إذا حلَّ بالأمة .

وكذلك يدخل في الاختلاف المذموم ، الاختلاف الناتج عن اتِّباع

(١) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ٢٩٤ .

الهوى والتعصب الممقوت لشخص أو جماعة . والتقليد الأعمى ، الذي يؤدي إلى إشعال الفتن .

□ الاختلاف سنة من سنن الله تعالى:

قال - تعالى - : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ...﴾ (١).

قال الإمام الشاطبي : «فأخبر سبحانه أنهم لا يزالون مختلفين ، أبداً مع أنه لو أراد أن يجعلهم متفقين ، لكان على ذلك قديراً» (٢).

وقال الإمام ابن سَعْدِي : «يخبر - تعالى - أنه لو شاء لجعل الناس أمةً على الدين الإسلامي ، فإنَّ مشيئته غير قاصرة ، ولا يمتنع عليه شيء ، ولكنَّه اقتضت حكمته ، أن لا يزالوا مختلفين ، مُخالفين للصِّراط المستقيم ، متبعين للسُّبُل الموصلة إلى النار ، كُلُّ يَرَى الحقَّ فيما قاله ، والضلال في قول غيره» (٣).

أما قول الله - تعالى - : ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فقد بيَّن الشاطبي المعنى بقوله : «وللاختلاف خلقهم ، وهو مروى عن مالك بن أنس ، قال : خلقهم ليكونوا فريقاً في الجنة ، وفريقاً في السعير ، ونحوه عن الحسن ، فالضمير في : ﴿خلقهم﴾ عائد على الناس . فلا يمكن أن يقع منهم إلا ما

(١) سورة هود ، الآيتان : ١١٨ - ١١٩ .

(٢) الاعتصام ٢ / ٦٧٠ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢ / ٣٩٦ .

سبق في العلم»^(١).

فالله جل وعلا: «خلق أهل الاختلاف للاختلاف، وأهل الرحمة للرحمة»^(٢).

ومما يدل على أن الاختلاف في الأمة سنة من سنن الله عز وجل ما أخرجه الإمام مسلم، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله، ﷺ، أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربَّه طويلاً، ثم انصرف إلينا، فقال، ﷺ: «سألتُ ربِّي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألتُ ربِّي أن لا يهلك أمتي بالسَّنة فأعطانيها، وسألتُه أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها، وسألتُه أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»^(٣).

قال شيخ الإسلام: بعد أن أورد حديث الافتراق، وحديث سعد بن أبي وقاص هذا، وحديث ثوبان مرفوعاً: «إن الله زوى لي الأرض»^(٤).

قال: «وهذا المعنى محفوظ عن النبي، ﷺ، من غير وجه، ليشير إلى التفرقة والاختلاف، لابد من وقوعهما في الأمة، وكان يحذر أمته لينجو

(١) الاعتصام ٦٧٠/٢.

(٢) تفسير القرطبي ٣٣٤٣/٥.

(٣) مسلم، في كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٢٨٩٠.

(٤) سيأتي تخريجه ص ٦٢.

من شاء الله له السلامة»^(١).

ومع أنَّ الاختلاف ممَّا قدَّره الله - تعالى - لكنه سبحانه لا يُحبّ ولا يرضى لعباده ذلك .

فإن قيل : كيف يُريد أمراً ولا يُحبُّه ؟

أُجيب بما قال شارح الطحاوية ابن أبي العز : « قلنا : هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقاً ، وتباينت طُرُقهم وأقوالهم .

فاعلم أنَّ المراد نوعان : مرادٌ لنفسه ، ومرادٌ لغيره ، فالمراد لنفسه : مطلوبٌ محبوب لذاته ، وما فيه من الخير ، فهو مرادٌ لإرادة الغايات والمقاصد .

والمراد لغيره : قد لا يكون مقصوداً للمريد ، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته ، وإن كان وسيلةً إلى مقصوده ومراده .

فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ، مرادٌ له من حيث إفضاؤه وإيصاله إلى مراده ، فيجتمع فيه الأمران ، بغضه وإرادته ، ولا يتنافيان ، لاختلاف متعلّقيهما ، وهذا كالذَّواء الكريه ، إذا عَلِمَ المتناولُ له أنَّ فيه شفاءً ، وقطع العضو المتآكل ، إذا عَلِمَ أنَّ في قطعه بقاءَ جسده ، وكقطع المسافة الشاقَّة ، إذا عَلِمَ أنَّها تُوصِلُ إلى مراده ومحبوبه ، بل العاقلُ يكتفي في إشار هذا المكروه وإرادته بالظنِّ الغالب وإن خفيت عنه عاقبته ، فكيف بمن لا يخفى عليه خافية .

(١) اقتضاء الصَّراط المستقيم ١/ ١٢٢ ، ١٢٣ .

فهو - سبحانه - يكره الشيء ، ولا يُنافي ذلك إرادته لأجل غيره ،
وكونه سبباً إلى أمر هو أحبُّ إليه من فوته .

ومن ذلك : أنه خلق إبليس ، الذي هو مادةٌ لفساد الأديان والأعمال
والاعتقادات والإرادات ، وهو سببٌ لشقاوة كثير من العباد ، وعملهم بما
يُغضبُ الربَّ تبارك وتعالى ، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يُحبُّه الله
ويرضاه .

ومع هذا فهو وسيلةٌ إلى محابٍ كثيرة للربِّ - تعالى - تربت على
خلقه ، ووجودها أحبُّ إليه من عدمها^(١) .

والله - سبحانه - وتعالى عدل لا يظلم : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٢) .

﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ
وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٣) .

قال الحافظ ابن كثير عند قوله - تعالى - : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى
نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ : «إخبارٌ عن عدله - تعالى - ، وأنه لا يُعَذِّبُ أحداً إلا بعد
قيام الحجة عليه ، بإرسال الرسول إليه ، كقوله : ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ
سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ١٥ .

الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير» (١) (٢).

□ تحذير النبي ﷺ، أمته من الاختلاف وأسبابه:

لقد كان الرحمة المهداه، عليه الصلاة والسلام يحذر أمته من اتباع أسباب الاختلاف، لأنها التي تؤدي لوقوع العداوة والتناحر والشحناء والبغضاء بين أفراد الأمة المسلمة، مما يكون سبباً في إضعافها وهلاكها.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ، قال: «دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» (٣).

وقد قال ابن القيم: «... وقال النبي ﷺ: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم» (٤)!! وقال: «اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا» (٥).

(١) سورة الملك، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣١.

(٣) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم ٦٨٥٨، ومسلم في فضائل الصحابة، باب توقيفه، رقم ١٨٣٠.

(٤) جزء من حديث البراء بن عازب، أخرجه أبو داود في الصلاة، باب تسوية الصفوف، ٦٦٤ والنسائي في الإمامة، باب كيف يقوم الإمام الصفوف ٢/ ٨٩، والبغوي في شرح السنة ٣/ ٣٧٣، بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، «باب كراهية الاختلاف ٦٩٣١، ومسلم في العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ٢٦٦٧ من حديث جندب بن عبد الله.

وكان التنازع والاختلاف أشدَّ شيء على رسول الله ، ﷺ ، وكان إذا رأى من الصحابة اختلافاً يسيراً في فهم النصوص ، يظهر في وجهه حتى كأنما فقيء فيه حبُّ الرُّمان ، ويقول : «أبهذا أُمِرتُم» (١) . (٢) .

□ مضار الاختلاف:

إنَّ للاختلاف الكثير من المضارَّ على الفرد والجماعة ، بل على الأمة أجمع ، فبسبب الاختلاف تحدث الضغائن ، وتنشب الفتن ، وتضطرم نيرانها ، وتتمزق الوحدة ، وتحلَّ العقوبات ، ولهذا قال ابن القيم : «والمقصود أنَّ الاختلاف منافي لما بعث الله به رسوله ، قال عمر - رضي الله عنه - والمقصود : لا تختلفوا ، فإنكم إن اختلفتم كان من بعدكم أشدَّ اختلافاً .

ولمَّا سمع أبي ابن كعب ، وابن مسعود يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد أو الثوبين ، صعد المنبر وقال : رجلان من أصحاب النبي ﷺ اختلفا ، فعن أيِّ فتياكم يصدر المسلمون؟ لا أسمع اثنين اختلفا بعد مقامي إلاَّ صنعت وصنعت (٣) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٩٦/٢ ، وابن ماجه في المقدمة ٨٥ ، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، ورجاله ثقات ، قال البوصيري : هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات . اهـ ، وقد صححه شيخ الإسلام في الاقتضاء ١٤١/١ .

(٢) إعلام الموقعين ٢٥٩/١ .

(٣) ماذا لو رأى أمير المؤمنين ما وقع في زماننا هذا من جرأة بعضهم على الفتوى ، وإصدار الأحكام بالكفر والتبديع والتفسيق لأهل السنة من أهل العلم ، رحماك رحماك يا إلهي ، اللهم بصّرنا بعيوبنا ، وارزقنا خشيتك .

وقال عليّ - كرم الله وجهه في الجنة - ، في خلافتِهِ لِقَضَايِهِ : اقضُوا كما كُنتُمْ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ الخَلاَفَ ، وأرجو أن أموتَ كما ماتَ أصحابي ، وقد أخبر النبي ، ﷺ ، أن هلاكَ الأمم من قبلنا إنما كان باختلافهم على أنبيائهم»^(١).

□ أسباب الاختلاف:

إنَّ هناك مجموعةً من الأسباب للاختلاف ، يطول ذكرها ، ولا يمكن استقصاؤها في هذه العُجالة ، لكن سأذكر ما أورده الشاطبيُّ من أسباب باختصار.

السَّبب الأول : أن يَعْتَقِد الإنسان في نفسه ، أو يُعْتَقَد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدِّين ، ولم يبلغ تلك الدَّرَجَة ، فيعمل على ذلك ، ويعد رأيه رأياً ، وخلافه خلافاً!

السَّبب الثاني : اتِّبَاع الهوى^(٢).

ولذلك سُمِّي أهل البدع أهل الأهواء ، لأنَّهم اتَّبَعُوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلَّة الشرعية مأخذ الافتقار إليها ، والتعويل عليها ، حتى يصدروا عنها ، بل قَدَّمُوا أهواءهم ، واعتمدوا على آرائهم ، ثمَّ جعلُوا الأدلَّة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك .

(١) إعلام الموقعين ١/ ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢) قال ابن بدران في العقود الياقوتية : « فالأهواء متى حَلَّت بصاحبها أخذته عن الحق ، وجعلت الباطل سارياً في لحمه ودمه ، فإذا خالطه أحد حصلت له العدوى منه . . . » . اهـ ص ٤٨ .

السبب الثالث : التصميم على اتّباع العوائد وإن فسدت ، أو كانت مخالفة للحقّ ، وهو اتّباع ما كان عليه الآباء والأشياخ وما شابه ذلك ، وهو التقليد المذموم ، فإنّ الله ذمّ ذلك في كتابه ، كقوله : ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ . . .﴾ اهـ (١)(٢) .

وبالجملة فمن الأسباب أيضاً الجهل ، وقلة العلم الشرعي وعدم الرسوخ فيه ، والعصية للأشخاص أو الجماعات ، وقلة الورع والخشية لله تعالى ، وكذلك نسيان التفكّر في المعاد ، وما أمام الإنسان من الأهوال والأمور العظام ، وكذلك من الأسباب حبّ الغلبة والشهرة والسيطرة والحسد وغير ذلك من الأمور .

فتبيّن لنا ممّا عرضناه آنفاً أنّ الاختلاف داءٌ يجب أن يحذره المؤمن ، بل يجب أن يحاربه ويحذّر منه ، وإنه لحريٌّ بأهل العلم أن يُحذّروا من هذا الخطر الذي يُحيطُ بسفينة المجتمع من كل جانب ، بل عليهم أن يتنبّهوا من الوقوع في هذا الفخ .

وإذا كان هذا الأمر يجب أن يحذر منه أهل العلم الذين هم ورثة الأنبياء ، فإنه من باب أولى أن يحتاط ويحذر من هو دونهم في العلم وممن هم في بداية الطلب ، وكذلك عامة الناس الذين أكثر ما تقع الاختلافات بينهم لجهلهم .

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٢٣ .

(٢) الاعتصام ٢/ ٦٧٩ - ٦٨٣ ، ٦٨٨ . باختصار وتصرف .

قال ابن القيم : «إنَّ الاختلافَ سبب اشتباه الحقِّ وخفائه»^(١)، وهذا لعدم العلم، الذي يميّز بين الحقِّ والباطل»^(٢).

وإنَّ من الاختلاف المؤلم، ما يقع بين بعض أهل العلم والصالحين - وهم قلة بحمد الله - فترى بعضهم يسفّه بعضاً، في مسائل يكثُر فيها الخلاف! ونحو ذلك، فيتنصر الواحد لرأيه، ويعادي من يخالفه، بل ربّما تجرّأ أحدهم بالحكم على الآخر بالبدعة، أو الكفر؟ لتأويل تأوله! وهذا من الخذلان، واتباع نزغات الشيطان، ومن طُرُقِ أهلِ الأهواء.

قال شيخ الإسلام: «واعلم أنَّ أكثر الاختلاف بين الأمة، الذي يُورثُ الأهواء، تجده من هذا الضرب وهو: أن يكون كلُّ واحد من المختلفين مصيباً فيما يُثبتُه، أو في بعضه، مُخطئاً في نفي ما عليه الآخر»^(٣).

ثم قال: «فإنَّ أكثر الجهل إنّما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب، لا في الإثبات، لأنَّ إحاطة الإنسان بما يثبتُه أيسر من إحاطته بما ينفيه»^(٤).

ثم ذكر شيخ الإسلام كلاماً نفيساً في مَعْرِضِ حديثه عن الاختلاف المذموم، وأسبابه فقال: «وهذا الاختلاف المذموم مِنْ الطَّرفين، يكون سببه تارةً فساد النية، لما في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في

(١) في الأصل وخفأه!.

(٢) إعلام الموقعين ١/ ٢٥٨.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٢٤، ١٢٥.

(٤) المصدر السابق نفسه.

الأرض ونحو ذلك ، فيجب لذلك ذم قول غيره أو فعله أو غلبته لتمييز عليه ، أو يجب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة ونحو ذلك ، لما في قيام قوله من حصول الشرف له والرئاسة ، وما أكثر هذا من بني آدم ، وهذا ظلمٌ .

ويكون سببه تارة جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه ، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر ، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم ، أو في الدليل ، وإن كان عالمًا بما مع نفسه من الحق حكمًا ودليلاً .

والجهل والظلم ، هما أصل كل شرٍّ ، كما قال سبحانه : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١) . « (٢) .

قلت : وقد ذكر شيخ الإسلام بعد ذلك أنواع الاختلاف ، وبيّن أنهما اختلاف تنوع ، واختلاف تضادّ ، واسترسل - يرحمه الله - في بيان ذلك بكلام دقيق واثمين ، لولا خشية الإطالة لنقلته ، لكن على طالب الاستزادة ، الرجوع إليها فهي فوائد يُرحل من أجلها !

□ **معنى الافتراق :**

باديء ذي بدء نقول : إنّ التفرّق ليس معناه مجرد الاختلاف في الآراء وما إلى ذلك .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٢٧ - ١٢٨ .

فالاختلاف - كما مرّ معنا - هو المرحلة الموطئة للتفرّق والتناحر إذا اشتد الاختلاف، والله سبحانه وتعالى يقول محدّراً عباده: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

فعاقبة الاختلاف والتنازع، التفرّق والضّيع والهلاك وتشتت الشّمل، والفشل الذريع.

ومعنى التفرّق كما قال ابن الأثير: «والتفرّق والافتراق سواء، ومنهم من يجعل التفرّق بالأبدان، والافتراق في الكلام، يقال: فرقت بين الكلامين فافترقا، وفرقت بين الرجلين فتفرّقا»^(٢).

إذن يُمكن أن يقال: إنّ التفرّق ضد الاجتماع قال الرّاغب: «الفرق يقاربُ الفلق، لكن الفلق يقالُ اعتباراً بالانشقاق، والفرقُ يقالُ اعتباراً بالانفصال، قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾»^(٣). والفرقُ القطعةُ المنفصلة، ومنه: الفرقة للجماعة المتفرّدة من الناس، والفريقُ: الجماعة المتفرّقة عن آخريّن»^(٤).

وقال ابن منظور: «الفرقُ خلافُ الجمع، فرقه يفرّقه فرقاً، وفرّقه، وقيل: فرق للصّلاح فرقاً، وفرّق للإفساد تفريقاً، وأنفرق الشيء وتفرّق وأنفرق».

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) النهاية ٤٣٩/٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٠.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٦٣٢، ٦٣٣.

والْفُرْقَةُ: مصدر الافتراق ، قال الأزهري : الْفُرْقَةُ اسم يوضع موضع
المصدر الحقيقي من الافتراق .

وفي حديث ابن مسعود : صَلَّيْتُ مع النبي ، ﷺ ، بمنى ركعتين ،
ومع أبي بكر وعمر ، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بكمُ الطَّرِيقُ ، أي ذهبَ كُلُّ منكم ومالَ إلى
قولٍ ، وتركتمُ السُّنَّةَ .

وفارقَ الشَّيءَ مُفارقةً وفِرَاقاً : باينَهُ ، والاسمُ الْفُرْقَةُ . وتفارق القوم :
فارق بعضهم بعضاً ، وفارق فلانُ امرأته مُفارقةً وفِرَاقاً : باينَهَا .

والْفِرْقُ وَالْفُرْقَةُ وَالْفَرِيقُ : الطَّائِفَةُ من الشَّيءِ الْمَتَفَرِّقِ . وَالْفِرْقَةُ : طائفةٌ
من الناس ، والفريقُ أَكْثَرُ منه»^(١) .

فالافتراق إذن مأخوذٌ من المباينة ، والمفارقة ، والانقطاع ،
والانفصال عن الجماعة .

والافتراق في الدين هو الخروج عن أهل السنة والجماعة في أصول
الدين ، ومخالفتهم ، والبعد عنهم .

ومخالفة صراط الله المستقيم وحبله المتين ، وركوب الهوى ، وما
يمليه الشيطان ، وأتباعه .

□ **ذم التفريق:**

إِنَّ التَّفَرُّقَ وَالشَّتَاتَ مَذْمُومٌ وَمَكْرُوهٌ ، وَلَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ - تعالى - في كتابه

(١) لسان العرب ٢٩٩/١٠ ، ٣٠٠ مادة فرق .

الكريم «ونهى عن التفرق والتنازع، فقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(١). وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٢). وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(٣). وقال: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(٤). وقال: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٥). والزُّبر: الكتب، أي كل فرقة صنّفوا كتباً أخذوا بها وعملوا بها، ودعوا إليها دون كتب الآخرين كما هو الواقع سواء، وقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(٦).

قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف^(٧).

والآيات في هذا المعنى كثيرة، والمقصود أن التفرق والتناحر من الأمور التي حذر الله منها، لأنها من أسباب هلاك الأمم السابقة التي

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣، وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. قال ابن كثير في تفسيره ١١٨/٤: «أي أوصى الله جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف». اهـ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٧) إعلام الموقعين ١/ ٢٥٨، ٢٥٩.

أَعْمَل الشَّقَاق فِيهَا وَحَلَّ التَّنَازَع وَالتَّفَرُّق ، وَأَصْبَحُوا فَرَقاً وَطَوَائِفَ وَجَمَاعَات ، وَأَصْبَحَ ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١) .

ولقد كان رسول الله ، ﷺ ، يُحذِّر أُمَّتَهُ مِنَ التَّفَرُّقِ حَتَّى لَا تَقَعَ فِيهَا وَقَعَتْ فِيهِ الْأُمَمُ السَّالِفَةُ ، فَيَحِلُّ عَلَيْهَا عَذَابُ اللَّهِ وَهَلَاكُهُ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»^(٢) .

قال الإمام النووي : «وأما قوله ، ﷺ : «وَلَا تَفْرُقُوا» فهو أمرٌ بِلُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَأَلُّفِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، وَهَذِهِ إِحْدَى قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الثَّلَاثَةَ الْمَرْضِيَّةَ ، إِحْدَاهَا : أَنْ يَعْبُدُوهُ ، الثَّانِيَّةُ : أَنْ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، الثَّلَاثَةُ : أَنْ يَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ وَلَا يَتَفَرَّقُوا»^(٣) .

□ أنواع الفرقة:

قال الحافظ الخطَّابِيُّ : «الفرقة فُرْقَتَان :

١ - فُرْقَةُ الْأَرَاءِ وَالْأَدْيَانِ .

٢ - وَفُرْقَةُ الْأَشْخَاصِ وَالْأَبْدَانِ

(١) سورة المؤمنون الآية : ٥٣ .

(٢) أخرجه مسلم ، في كتاب الأفضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة . ١٧١٥ .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١١ / ١٢ .

فأما الافتراق في الآراء والأديان فإنه محظورٌ في العقول، مُحَرَّمٌ في قضايا الأصول، لأنة داعيةُ الضلال، وسببُ التعطيل والإهمال، ولو تُرك الناسُ متفرِّقين لتفرَّقت الآراء والنحل، ولكثرت الأديان والملل، ولم تكن فائدةٌ في بعثة الرُّسل، وهذا هو الذي عابه الله - عزَّ وجل - من التفرُّق في كتابه وذمَّه . . . » .

ثم قال: «وأما عُزلةُ الأبدان، ومُفارقةُ الجماعة التي هي العوامُّ، فإنَّ من حكمها أن تكونَ تابعةً للحاجة، وجاريةً مع المصلحة، وذلك أنَّ عِظَمَ الفائدة في اجتماع الناس في المدن، وتجاورهم في الأمصار إنما هو أن يتضافروا فيتعاونوا على المصالح، ويتوازروا فيها إذا كانت مصالحهم لا تكملُ إلاَّ به، ومعايشهم لا تزكو إلاَّ عليه . . . »^(١).

□ حقيقة افتراق هذه الأمة:

لقد أخبر الصادق المصدوق، عليه الصَّلاة والسَّلام، أن أُمَّته ستفترق حتمًا لا محالة، وهذا التفرُّق من الابتلاء لهذه الأمة، وهو ذمٌّ لمن زاغ وابتعد عن أهل السنة والجماعة، وتحذيرٌ من التفريق والانحراف .

وهذا الخبر عنه، ﷺ، من الأخبار الصحيحة، فقد ورد حديث الافتراق من طرق كثيرة، من حديث أبي هريرة، ومعاوية، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك، وعوف بن مالك، وأبي موسى الأشعري، وأبي أُمّامة، وجابر بن عبدالله، وابن مسعود، وسعد بن أبي

(١) كتاب العزلة ٥٧ ، ٥٨ .

وقاص، وأبي الدرداء، ووائللة بن الأسقع، وعلي ابن أبي طالب، وعمر بن عوف المزني. أن النبي ﷺ، قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة». قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

وفي رواية: «الجماعة» وفي رواية: «السواد الأعظم»^(١).

وهذا الخبر من الأمور الغيبية التي أخبر عنها ﷺ، وهو من دلائل نبوته.

وحقيقة الافتراق ليس المقصود بها مطلق الافتراق، «بحيث يطلق صور لفظ الاختلاف على معنى واحد، لأنه لا يلزم أن يكون المختلفون في مسائل الفروع داخلين تحت إطلاق اللفظ، وذلك باطل بالإجماع، فإنَّ الخلاف من زمان الصحابة إلى الآن واقع في هذه المسائل الاجتهادية، وأول ما وقع الخلاف في زمان الخلفاء الراشدين المهديين، ثم في سائر الصحابة، ثم في التابعين، ولم يعب أحد ذلك منهم، وبالصحابة اقتدى من بعدهم في توسيع الخلاف، فكيف يمكن أن يكون الافتراق في المذاهب مما يقتضيه الحديث؟

وإنما يُرادُ افتراق مقيّد، وإن لم يكن في الحديث، نص عليه، ففي

(١) ولقد منَّ الله على العبد الضعيف بجمع طرق حديث الافتراق في جزء عنوانه: «بغية المشتاق في جمع طرق حديث الافتراق»، نسأل الله القبول والسداد والتوفيق، يسر الله نشره قريباً.

الآيات ما يدلّ عليه قوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١).

وقوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(٢).

وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على التفرُّق الذي صاروا به شيعاً، ومعنى صاروا شيعاً، أي : جماعات بعضهم قد فارق البعض ! ليسوا على تألّفٍ ولا تعاضد وتناصر، بل على ضدّ ذلك، فإنّ الإسلام واحد، وأمره واحد، فاقتضى أن يكون حكمه على الائتلاف التامّ لا على الاختلاف.

وهذه الفرقة مشعرةٌ بتفرُّق القلوب، المشعر بالعداوة والبغضاء، ولذلك قال : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣).

فبيّن أنّ التآليف إنّما يحصل عند الائتلاف على التعلّق بمعنّى واحد، وأمّا إذا تعلّق كل شيعة بحبلٍ غير ما تعلقت به الأخرى، فلا بُدَّ من التفرُّق، وهو معنى قوله - تعالى - : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٤).^(٥).

ج □ كم الفرق المتفرقة عن هذه الأمة :

لقد بيّن الرسول ﷺ ، - في حديث الافتراق - أنّ أمته ستفترق إلى

(١) سورة الروم، الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٥٩ .

(٣) سورة الأعراف، الآية : ١٠٣ .

(٤) سورة الأنعام، الآية : ١٥٣ .

(٥) الاعتصام للشاطبي ٢ / ٧٠٠ ، ٧٠١ .

فرق عدة ، وحكم على هذه الفرق أنها في النار إلا فرقة واحدة منها ، وهي الجماعة ، هي الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة .

لكن يُلاحظ أن رسول الله ، ﷺ ، عندما قال : «كلّها في النَّار» ، لم يُخلِّدْهم في النَّار. بل جعلهم في دائرة الإسلام ، وبالتالي لا تُكفّر تلك الفرق كلّها .

قال شيخ الإسلام : « . . . فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلّهم ، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وليس قوله : «ثنتان وسبعون في النَّار وواحدة في الجنة» بأعظم من قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١) . وقوله : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُضْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٢) .

وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار.

ومع هذا فلا نشهد لمعيّن بالنار لإمكان أنّه تاب ، أو كانت له حسنات مَحَت سيئاته ، أو كفر الله عنه بمصائب أو غير ذلك»^(٣) .

وقال الذهبي : « » وإذا قال المسلم : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٤) ، يقصد كلّ من سبقه من قرون الأمة بالإيمان ،

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠ .

(٢) سورة النساء الآية : ٣٠ .

(٣) منهاج السنة النبوية ٢٤٨/٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٤) سورة الحشر ، الآية : ١٠ .

وإن كان قد أخطأ في تأويل تأوَّله مخالف السنَّة، أو أذنب ذنباً، فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان، فيدخل في العموم وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفاراً، بل مؤمنين، فيهم ضلالٌ وذنْبٌ يستحقُّون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين، والنبي ﷺ، لم يُخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أُمَّته ولم يقل إنهم يخلدون في النار، فهذا أصلٌ عظيم ينبغي مراعاته»^(١).

□ تنبيه

اعلم - يرحمك الله - بأنه يُستثنى من ذلك: «أن يُخرج من الحساب، غُلاة أهل البدع، ولا يُعدُّون من الأُمَّة ولا في أهل القبلة كالحلولية^(٢)، والمنصورية^(٣)، وأشباههم من الغُلاة»^(٤) من الأفراد، والطوائف والفرق.

(١) المنتقى من منهاج السنة النبوية ٣٣٤.

(٢) الحلولية هم: الذين يعتقدون أن الله تعالى بذاته حلٌّ في مخلوقاته كما يحل الماء في الإناء وأنه تعالى بذاته في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٣) المنصورية هم: أتباع أبي منصور العجلي، كان يسكن الكوفة، وكان أُمياً لا يقرأ، وقد ادَّعى أنه خليفة الباقر، ثم ألحد في دعواه، فزعم أنه عُرجٌ به إلى السماء، وأن الله تعالى مسح بيده على رأسه، وقال: يا بني بلغ عني ثم أنزله إلى الأرض، قال عبد القاهر البغدادي: «وكفرت هذه الطائفة بالقيامة والجنَّة والنار، وتألوا الجنة على نعيم الدنيا، والنار على محن الناس في الدنيا، واستحلوا - مع هذه الضلالة - خنق مخالفينهم)، واستمرت فتنة هذا الضال حتى صلبه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في زمانه (الفرق بين الفرق).

(٤) الحوادث والبدع للطروشني ص ٣٦.

□ الإشارة إلى أن الحق واحد لا يتعدد:

أما قوله، ﷺ: «إِلَّا واحدة»، فيؤخذ منه أن الحق والهدى واحد لا يتعدد ولا يختلف.

قال الإمام الشاطبي: «إِنَّ قوله، عليه السلام: «إِلَّا واحدة» قد أعطى بنصّه أن الحق واحد لا يختلف، إذ لو كان للحق فرق أيضاً لم يقل: «إِلَّا واحدة»، ولأن الاختلاف منفي عن الشريعة بإطلاق، لأنها الحاكمة بين المختلفين لقوله - تعالى - : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(١). إذ رُدُّ التنازع إلى الشريعة، فلو كانت الشريعة تقتضي الخلاف لم يكن في الرّد إليها فائدة، وقوله: ﴿فِي شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق الشرط، فهي صيغة من صيغ العموم، فالرّد فيها لا يكون إلا أمر واحد، فلا يسع أن يكون أهل الحق فرقا، وقال - تعالى - : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾^(٢). وهو نص فيما نحن فيه، فإنَّ السَّبِيل الواحد لا يقتضي الافتراق، بخلاف السُّبُل المختلفة»^(٣).

ومما يؤكد أن الحق واحد، ما ورد في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، خطًّا، ثم قال: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ». ثم خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وقال: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٤).

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) الاعتصام ٧٥٥/٢.

(٤) حديث صحيح، سيأتي تخريجه ص ٦٨.

□ الفرقة الناجية:

إنَّ الفرقةَ النَّاجيةَ واحدةٌ بلا شكٍّ، لكن هذه الفرقة لها أوصاف متعددة، ويعسر أن تُحدّد لها صفةٌ واحدةٌ؟! .

قال الإمام النووي: «يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله»^(١).

وقال العلامة عبدالرحمن بن حسن، بعد إيراد حديث الافتراق: « فتبيّن بهذه الأحاديث، أنَّ الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين هي التي تمسّكت بكتاب الله، وأخلصوا العبادة، واتَّبَعُوا رسولَه، فإنَّ أصلَ دين الإسلام أن لا يعبدوا إلا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرع»^(٢).

وسياأتي في حاشية التحقيق مزيد إيضاح لذلك إن شاء الله تعالى .

□ الإشارة إلى تعيين الفرق:

اعلم — علّمك الله وإيّاي — بأن كثيراً ممّن كتب عن الفرق

(١) فتح الباري ١٣/ ٢٩٥.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٢/ ٧٤.

الإسلامية، أخذ يحاول تعداد هذه الفرق، وحصرها لتبلغ العدد الذي ورد في الحديث.

وهذا أمرٌ لا يتأتَّى، ولا ينضبط، ويصعب تحديده، قال الطرطوشي: «واعلم أنَّ هذا الحديث قد طاشت فيه أحلامُ الخلق، وفي معرفة هذه الفرق، وهل كملُّوا بعدُ أم لا؟»^(١).

ففي كلِّ زمان تأتي فرق وتنشأ، لم تكن معروفة من قبل، وستأتي إشارة لهذه المسألة في الحاشية أيضاً.

□ بداية التفرق:

لقد أخذ أعداء هذا الدين بالكيد له ولأتباعه، وقاموا بتطوير مؤامراتهم ودسائسهم في زمن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه —، فقد تآمروا لقتله، فكان استشهاده على يد المجرم الآثم أبي لؤلؤة المجوسي، مولى المغيرة بن شعبة، ومما لا شك فيه أن مقتل عمر بن الخطاب كان نتيجة مؤامرة دنسة، قام بها الفرس المجوس، حيث كانت قلوبهم تمتليء بالكراهية الشديدة، والحق الدفين، وقد اشترك معهم النصارى واليهود.

ذلك لأنَّ الخليفة عمر قد أزال سلطانهم، وفتح بلادهم، لإعلاء راية التوحيد، وتعتبر تلك الحادثة بداية لسلسلة من الفتن والمؤامرات الدنيئة على هذه الأمة.

فموت عمر بن الخطاب اندلعت الفتن، فقد كان بين اندلاع الفتن

(١) الحوادث والبدع ص ٣٣.

على هذه الأمة باب أخبر عنه رسول الله ﷺ، بأنه سيكسر، فقد أخرج الإمام البخاري من طريق شعبة، عن سليمان، سمعت أبا وائل يحدث عن حذيفة أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ، في الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ كما قال، قال: هات إنك لجريء، قال رسول الله ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله، وجاره تكفرها الصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر، قال: يا أمير المؤمنين لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا، بل يكسر. قال: ذلك أحرى أن لا يُغلق، قلنا: علم الباب؟ قال: نعم! كما أن دون غدي الليلة، إنني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأله، وأمرنا مسروقاً، فسأله فقال: من الباب؟ قال: عمر»^(١).

فمن يوم أن توفي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، اندلعت على المسلمين الفتن التي تموج كموج البحر.

وتولّى الخلافة بعده ذو النورين، خليفة المسلمين عثمان بن عفان - رضي الله عنه وأرضاه -، وفي عهده قام وتحرك المنافقون، بقيادة زعيمهم الهالك ابن السوداء اليهودي، عبدالله بن سبأ، بإثارة الخلافات والاضطرابات والفوضى، هذا الرجل الذي أعلن إسلامه مخفياً كفره من أجل ضرب وحدة المسلمين ومحاربة هذا الدين.

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام رقم ٣٥٨٦.

فقام بكل جهد بنشر تعاليمه ، وآرائه الخبيثة التي تُبين مدى ما يُكنّه من حقد مدفون للإسلام .

فأخذ يتنقّل بين البلدان باحثاً عن المنافقين ، وضعاف النفوس ، والجهلة ليتخذهم أعواناً له لتنفيذ خططه ، فقام مع أعوانه بنشر الأكاذيب الملفقة على عثمان بن عفان خليفة المسلمين ، وولاته وأنهم ظلموا وتجبروا ، وأكلوا أموال المسلمين . . . إلخ!! وكلها كذبٌ ، وزور ، وبهتان ، ودجل؟! وكان هذا الخبيث يُعلّمُ أعوانه وأتباعه ، ويُرسّخ في عقولهم مبادئ كافرة ، كالقول برجوع الرسول، ﷺ ، والوصاية لعلي ، (أي أن الرسول، ﷺ ، قد وصّى بالخلافة من بعده لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -) ، وسبّ الصحابة .

وهذه هي عقائد الرافضة ، منذ برزوا وظهروا إلى اليوم ، بل زادت من الضلال والانحراف .

حتى تأمروا على قتل عثمان بن عفان ، واستطاعوا ذلك ، وبقتله اندلعت الخلافات ! وتفرقت الأمة ، بل وسلّ بعضهم على بعض السيوف ! وسالت الدماء الطاهرة الزكية من الجميع ، وقُتل من قُتل ، واستمرّ التفرّق ظاهراً وواضحاً فيما بعد إلى اليوم .

□ **تنبيه مهم:**

وقد كره علماء السنة ، الحديث عن الفتنة وما جرى وحدث ، حيث لم يروا في ذلك فائدة! فالواجب الذي يتحتّم على المسلمين ، أن يُبرزوا

حسناتهم والدعاء لهم ، والإمساك عما وقع .

قال شيخ الإسلام : « من مذهب أهل السنة والجماعة ، الإمساك عما شجر بين الصحابة ، فإنه قد ثبت فضائلهم ، ووجبت موالاتهم ومحبتهم » .

وما أحسن قول القحطاني الأندلسي في نونيته :

دَغَ مَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَعَى

بِسُيُوفِهِمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ

فَقَتِّلُهُمْ مِنْهُمْ وَقَاتِلُهُمْ لَهُمْ

وَكِلَاهُمَا فِي الْحَشْرِ مَرْخُومَانِ

والله يومَ الحَشْرِ يَنْزِعُ كُلَّ مَا

تَخْوِي صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَضْغَانِ

لقد كان من علامات نبوة المصطفى ، ﷺ ، ما أخبر به عن الفتن التي ستبتلي بها هذه الأمة ، خصوصاً الفتنة التي أدت إلى مقتل الخليفة عثمان ابن عفان - رضي الله عنه - ، فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري قال : خرج النبي ، ﷺ ، إلى حائط من حوائط المدينة لحاجته ، وخرجت في إثره ، فلما دخل الحائط جلست على بابه ، وقلت :

لَا كُونَنَّ الْيَوْمَ بَوَّابَ النَّبِيِّ ، ﷺ ، وَلَمْ يَأْمُرْنِي ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ، ﷺ ،

وقضى حاجته، وجلس على قفّ البئر، فكشف عن ساقيه ودلّاهما في البئر، فجاء أبو بكر يستأذن عليه ليدخل، فقلتُ، كما أنت حتى استأذنَ لك، فوقف، فجئتُ إلى النبي ﷺ، فقلتُ: يا نبيَّ الله، أبو بكر يستأذن عليك؟ قال: «أُذن له وبشّره بالجنة» فدخل، فجاء عن يمين النبي ﷺ، فكشف عن ساقيه ودلّاهما في البئر، فجاء عمر، فقلتُ: كما أنت حتى استأذنَ لك، فقال النبي ﷺ: «أُذن له وبشّره بالجنة»، فجاء عن يسار النبي ﷺ، فكشف عن ساقيه فدلّاهما في البئر، فامتلاً القفّ، فلم يكنْ فيه مجلسٌ، ثم جاء عثمان، فقلتُ: كما أنت حتى استأذنَ لك، فقال النبي ﷺ: «أُذن له وبشّره بالجنة معها بلاءٌ يصيبه»، فدخل فلم يجد معهم مجلساً، فتحوّلَ حتّى جاء مقابلهم على شفّة البئر، فكشف عن ساقيه ثمّ دلّاهما في البئر، فجعلتُ أتمنّى أخالي، وأدعو الله أن يأتي». .

قال ابن المسيّب: فتأولتُ ذلك قبورهم، اجتمعت ها هنا وانفرد عثمان^(١).

قال الحافظ ابن حجر عند قوله: «... بلاءٌ يُصيبه...». «هو ما وقع له من القتل الذي نشأت عنه الفتن الواقعة بين الصحابة في الجمل، ثم في صفّين، وما بعد ذلك. قال ابن بطال: إنّما خصّ عثمان بذكر البلاء مع أن عمر قتل أيضاً! لكون عمر لم يمتحن بمثل ما امتحن عثمان

(١) البخاري، في كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر رقم ٧٠٩٧ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه رقم ٢٤٠٣.

من تسلّط القوم الذين أرادوا منه أن ينخلع من الإمامة بسبب ما نسبوه إليه من الجور والظلم!! مع تنصّله من ذلك واعتذاره عن كل ما أوردوه عليه ، ثم هجّومهم عليه داره ، وهتكهم ستر أهله ، وكلّ ذلك زيادة على قتله .

ثمّ قال ابن حجر: وحاصله أن المراد بالبلاء الذي خصّ به الأمور الزائدة على القتل وهو كذلك»^(١).

وعلى ذلك نقول بأن بداية التفرق من مقتل الخليفة الراشد عثمان ابن عفان رضي الله عنه . والله تعالى أعلم .

□ أسباب التفرّق، ونشأة الفرق الإسلامية:

للتفرق أسباب كثيرةٌ وسأذكر شيئاً منها على سبيل الإجمال :

أولاً: لعلّ من الأسباب التي أدت بالأمة إلى التفرق ، ما يدبّره أعداء الدين من كيدٍ وتأمّرٍ في كلّ حين ، فلا يقرّ لهم قرار ، ولا يهدأ لهم بال والإسلام يمتد في مشارق الأرض ومغاربها ، فلذا حاولوا الحد من زحف الإسلام وانتصار المسلمين بالقوة ، ولكن هذه الطريقة لم تؤدّ الثمرة المطلوبة عندهم ، ذلك أنّ المسلمين كانوا في قوّة وترابط تجمعهم عقيدة التوحيد الصافية ، عندها وجدوا أنّ أفضل طريقة لتمزيق وتشيت المسلمين تكمن في تفريقهم إلى فرق وأحزاب وجماعات .

وهذا ما نلاحظه منذ بداية الفتنة التي أدت إلى الافتراق في هذه الأمة

(١) فتح الباري ١٣/ ٥٥ .

عندما جاء الخبيث الأثم ابن السوداء ، وأخذ يتربص بالمسلمين ، ويطلع على أمورهم ، ويتصيد الفرص لإحداث الخلاف والفرقة .

وهناك - أيضاً - من أعلن إسلامه عندما رأى أن المسلمين قد بسطوا نفوذهم ، وفتحوا الديار ، فاضطر إلى التظاهر بالإسلام ! لكن مع هذا كان يكن الحقد والبغض ، ويتمنى أن يضرب ضربه لتمزيق المسلمين ، وتفتيت وحدتهم ، ويسعى لإشعال الفتنة في صفوف المسلمين .

ثانياً : من أسباب الفرقة ، التعصب للمذهب والجماعة ، وخلاف ذلك ، فالمتعصب يتمسك برأيه ، ويرفض ما يخالفه ، حتى ولو كان حقاً ، وماذا إلا أن التعصب يدفع صاحبه إلى معاداة من يخالف ما يدعو إليه ، ويتعصب لرأيه ومذهبه . وهذه في الحقيقة من خصال اليهود كما قال - تعالى - : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَنُكْفِرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ (١) .

فاليهود كانوا يعرفون الحق قبل ظهور النبي ، ﷺ ، لكن عندما جاء من غيرهم ، نابذوه العدا ، ورفضوه وكذبوه ولم ينقادوا له ، بل أعرضوا وتولوا عنه .

ثالثاً : التقليد والجهل ، وهو من الأسباب الأكثر انتشاراً بين الناس ، تجد من الناس من يقلد غيره بجهل وعدم علم ومعرفة ، وهذا السبب ينضم إلى السبب الذي قبله وهو التعصب ، ترى الجاهل يحب أن يقلد

(١) سورة البقرة ، الآية : ٩١ .

غيره ويتعصب لذلك، وهو تقليدٌ مذمومٌ يؤدّي بصاحبه إلى معاداة الحق وأهله وعندما نقول التقليد، فلا نقصد تقليد العلماء وأهل المذاهب المتبوعة؛ بل التقليد لكل ما يتلقفه الشخص دون تمحيص ودراية، بل إذا أُعجب برأي نافح عنه ودعا إليه تقليداً عن جهل، فاتباع الأئمة على علم وهدى وبصيرة أمر مشكور.

رابعاً : عدم تمييز الحق من الباطل، فالإهمال في محاربة البدع والضلالات ومكافحتها يؤدّي إلى اختلاط ذلك على كثير من المسلمين ويتلبس بعضهم بالبدع وربما بالشركيات جهلاً، ويحدث عن ذلك التفرق في الأمة، فالتحذير من البدع وأهلها أمرٌ مطلوب لنصر السنة، ولا يكون ذلك إلا لأهل العلم.

خامساً : الإهمال في تعلّم الكتاب والسنة على فهم سلف هذه الأمة، فمتى أهمل الناس تعلم العلم الشرعي على يدي علماء سنة، فإن ذلك يؤدّي إلى إحداث التفرق في الصفوف، لأنّ الجهل والتقليد والتعصب والابتداع سيحلّ بين الناس، وفي ذلك شرٌّ عظيمٌ.

سادساً : تلقّي كلّ فكر وافد والاقتناع به، ومن جرّاء ذلك نشأت في صفوف المسلمين مجموعات ممّن تأثروا بأفكار وفلسفات منحرفة! فأخذوا ينشرون ضلالهم بين الناس بكل الوسائل الدعوية، المقروءة والمسموعة، وهذا من الأسباب القوية للتفرق.

سابعاً : إهمال القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،

فإن القيام بهذا الواجب يُعتبر حصناً منيعاً لهذه الأمة من الفتن والتفرق،
وسبباً لتألفها واتّحادها، وتماسك أفرادها، بإهماله تدبُّ الأمراض وتحلُّ
المُنازعات؛ والتناحر والتّفرق^(١).

□ نصيحة غالية للإمام البرزبَهاري^(٢)؛

قال الإمام البرزبَهاري: «واعلم أنّ رسول الله، ﷺ، قال: «ستفترق
أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة» وهي الجماعة!،
قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي». هكذا كان
الدين إلى خلافة عمر بن الخطاب، الجماعة كلها، وهكذا في زمن
عثمان، فلما قتل عثمان - رضي الله عنه - جاء الاختلاف والبدع، وصار
الناس فرّقاً، فمن الناس من ثبت على الحق عند أوّل التغيير، وقال به
وعمل به، ودعا إليه.

وكان الأمر مستقيماً حتّى كانت الطبقة الرابعة «في خلافة فلان»^(٣)،
انقلب الزمان، وتغيّر الناس جدّاً، وفشت البدع، وكثر الدّعاة إلى غير
سبل الحقّ والجماعة، ووقعت المحنة في كلّ شيء لم يتكلم به رسول
الله، ﷺ، ولا أحد من الصّحابة، ودعوا إلى الفرقة، - وقد نهى الله عز

(١) هذه بعض أسباب التفرق، وهناك الكثير ممّا لا يُحصى، وقد ذكر فضيلة الدكتور
ناصر العقل - يحفظه الله - بعض الأسباب في رسالته «الاتّراق» يحسن الرجوع إليها
والاستفادة منها.

(٢) أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرزبَهاري، الإمام القدوة إمام أهل السنة
والجماعة في عصره، كان شديداً على أهل البدع والمعاصي، وكان كبير القدر،
تُعظّمه الخاصة والعامة، كما قال الحافظ ابن كثير. توفي سنة ٣٢٩ هـ.

(٣) لعله - والله أعلم - يقصد المأمون !.

وجل عن الفرقة -، وكفر بعضهم بعضاً، وكلُّ دعا إلى رأيه، وإلى تكفير من خالفه، فضلَّ الجهَّال والرَّعاع ومن لا علم له، وأطمعوا النَّاس في شيء من أمر الدُّنيا، وخوَّفوهم عقاب الدُّنيا، فاتَّبِعهم الخلق على خوف في دينهم، ورغبة في دنياهم فصارت السُّنة وأهل السنة مكتومين، وظهرت البدعة وفشت، وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى، ووضعوا القياس، وحملوا قدرة الربِّ وآياته، وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم، فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم ردُّوه، فصار الإسلام غريباً، والسنة غريبة، وأهل السنة غرباء في جوف ديارهم»^(١).

لقد اهتمَّ علماء الأمة بأمر التفرُّق، وتناولوا حديث الافتراق بشيء من التوضيح والبيان، ومن أفضل من تحدث عنه الإمام الشاطبي - يرحمه الله - في كتابه الفذِّ [الاعتصام]، فقد فصلَّ في مدلولات هذا الحديث العظيم.

وأفرده بالتأليف الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، باسم: «الافتراق على اثنين وسبعين فرقة». كذلك العلامة شرف الدين أبي الثناء محمود بن عمر بن عبد الله البلخي! بمصنف باسم: «شرح وبيان وآثار وعلامات الاثنتين وسبعين فرقة»، وهو مخطوط وعندي صورة له، وكذلك الإسفرايني في التبصير، والبغدادى في الفرق بين الفرق، والسكسكي في البرهان، واليافعي في ذكر مذاهب الفرق، والقنوجي البخاري في خبيئة الأكوان،

(١) كتاب شرح السنة للبرهاري ٤٠، ٤١، وكأنَّ البرهاري يشير إلى فتنة القول بخلق القرآن، كما رفع لواء ذلك المبتدعة في ذلك الزمان نسال الله العافية والسلامة وقد أشار محقق كتاب السنة إلى ذلك.

ولكن هؤلاء تكلفوا في تعداد الفرق لتبلغ العدد الوارد في الحديث ويلاحظ عليهم بعض المؤاخذات والملاحظات الأخرى ليس هذا مكان بيانها . فليُنَبَّه لذلك . وقد تعرَّض لهذا الحديث غير من ذكرنا ، كشيخ الإسلام ، والطَّروشي وابن بدران وغيرهم .

وقد وقفت على رسالة مختصرة لطيفة في شرح وتوجيه الحديث لِعَلَمٍ من علماء الأمة ، هو محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، فلما طالعت مخطوطتها حظيت بإعجابي ، نظراً لاختصارها وشمولها ، ولأنها من تصنيف العالم الأمير المشهود له بالعلم والتحقيق ، وهي هذه الرسالة التي أقدم لها .

وهي عبارة عن جواب لسؤال عُرِضَ عليه من قِبَل العلامة إبراهيم بن أحمد العثماني ، عن افتراق الأمة ، فأجاب بأسلوب لطيف ، وبيان مفيد ، ووجَّه الحديث توجيهات قيمة على اختصار جوابه .

ولمَّا رأيتُ ما في هذه الرسالة من الفوائد استعنت بالله على تحقيقها ونشرها طمعاً في الأجر ، ورغبة في إفادة طلبة العلم ، مع الاعتراف بالتقصير وقلة البضاعة .

□ ترجمة موجزة للمصنّف:

* اسمه : محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي الأمير الصنعاني ويرجع نسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

* مولده: وُلد بمدينة كُحْلان، وهي مدينة جبلية في الشرق الشمالي من حجة، من بلاد اليمن، وإليها يُنسب فيقال الكُحلاني، سنة تسع وتسعين وألف من الهجرة ١٠٩٩هـ، في ١٥ جمادى الآخرة.

* نشأته: كان والده من الفضلاء الزاهدين، الرّاعيين في العمل، وله عرفان تامّ، وشعر جيّد، كما قال الشّوكاني.

فانتقل والده إلى صنعاء واصطحب ابنه معه، ونشأ بها، وتعهّده والده بالتربية والتعليم، حتى أتمّ حفظ القرآن الكريم، ثم جدّ هو في طلب العلم الشرعي، ولازم العلماء كثيراً، حتى برع، وأصبح موضع تقدير وإعجاب من أهل العلم، وطار صيته في الآفاق، حتّى قصد وأثني عليه، وأضحى من أعلام الدين، وأنصار السنة، وتفوّق في شتىّ الفنون، وصنف في كل فن تقريباً.

* شيوخه: من شيوخه:

- العلامة صلاح بن حسين الكحلاني.

- العلامة زيد بن محمد بن الحسين بن القاسم.

- العلامة علي بن محمد العنسي.

- العلامة عبدالله بن علي الوزير.

- العلامة عبدالله هاشم بن يحيى الشامي، وغيرهم.

* رحلاته:

رحل إلى المدينة، وإلى مكة حاجاً أربع مرّات، وبقي، فيها مدّة،

واجتمع بأئمة من علماء الحرمين ومصر، وأخذ الإجازات في علوم متنوعة .

وقد التقى بعالم المدينة آنذاك عبدالرحمن بن أبي الغيث الخطيب، وبأبي الحسن بن عبدالهادي السّندي .

وكذلك بمحمد بن أحمد الأسدي ، وقد تتلمذ على يد سالم بن عبدالله البصري ، وعبدالقادر بن علي البدري ، وقرأ على عبدالخالق بن الزين المزجاجي الزبيدي ، وقرأ هذا على الأمير .

* تلاميذه :

تتلمذ على يد المصنف الكثير . قال الشوكاني : «وقد كثر أتباع الصّنعاني - من الخاصّة والعامة ، وعملوا باجتهاده ، وتظهّروا بذلك ، وقرأوا عليه كتب الحديث»^(١) .

* ومن هؤلاء التلاميذ :

- أحمد بن محمد قاطن .

- عبدالقادر بن أحمد بن عبدالقادر بن الناصر، شيخ الشوكاني .

- أحمد بن صالح بن أبي الرجال .

- الحسن بن إسحاق المهدي ، وأخوه محمد .

- الحسين بن عبدالقادر بن الناصر .

(١) البدر الطالع ١٣٧ / ٢ .

- أبنائهُ إبراهيم، وعبدالله، وقاسم.

* ورعه، وزهده، ومرضه، ووفاته:

اتّصف المصنف - يرحمه الله تعالى - بالورع والزّهد، والخوف من الله تعالى، وقد عُرض عليه القضاء فأبى وامتنع.

«حكى بعض أولاده، أنه قرأ وهو يصلي بالناس صلاة الصبح: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾^(١). فبكى وغشي عليه»^(٢).

وقد أصيب بمرض مزمن، وعولج منه كثيراً، لكن بدون جدوى، وسرعان ما ساءت حالته، ووفاهُ الأجل في يوم الثلاثاء، ثالث شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ١١٨٢ هـ.

ودُفن غربي منارة جامع المدرسة بأعلى صنعاء، عن ثلاث وثمانين سنة، ورثاه الكثير من أهل عصره رحمه الله.

* ذكر ثناء بعض العلماء عليه:

لقد أثنى عليه جمعٌ من أهل العلم، وشهدوا له بالمعرفة والاجتهاد والإمامة.

قال عنه الشوكاني: «الإمام الكبير المجتهد المطلق، صاحب التّصانيف»^(٣).

(١) سورة الغاشية، الآية: ١. (٢) أبجد العلوم ٣/ ١٩٢.

(٣) البدر الطالع ٢/ ١٧٣.

وقال القنوجي: «الإمام الكبير المحدث الأصولي المتكلم، الشهير
قرأ كتب الحديث وبرع فيها، وكان إماماً في الزهد والورع»^(١).

وقال الحفظي: «الإمام السيد المجتهد، الشهير المحدث الكبير،
محمد بن إسماعيل، مُسند الديار، ومجدد الدين في الأقطار، صنّف أكثر
من مائة مؤلّف، وهو لا يُنسب إلى مذهب بل مذهبه الحديث»^(٢).

* مؤلفاته:

الإمام الصنعاني من العلماء المكثرين في التّصنيف، وله مصنفات
ورسائل بلغت أكثر من مائة مصنّف في فُنُونٍ شتّى، وله من الرّسائل
الصغيرة والتي هي عبارة عن إجاباتٍ لأسئلة عُرضت عليه ما يفوق عدد ما
صنّف، ولو جمعت لأصبحت في مجلّدات. وسأذكر بعض مؤلفاته
بإيجاز.

- ١ - سبل السّلام شرح بلوغ المرام، طُبِعَ مراراً.
- ٢ - إرشاد النّقاد إلى تيسير الاجتهاد. مطبوع.
- ٣ - تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد. مطبوع.
- ٤ - توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار في علوم الآثار. مطبوع.
- ٥ - إجابة السائل شرح بغية الأمل. (في أصول الفقه). مطبوع.
- ٦ - جمع الشّيتت شرح أبيات التّثبيت. مطبوع.
- ٧ - العدة حاشية على إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام. مطبوع.

(١) أبجد العلوم ٣/ ١٩١.

(٢) المرجع السابق نفسه.

٨- منسك الأمير. مطبوع.

٩- رفع الأستار. مطبوع.

١٠- إسبال المطر على قصب السكر نظم نخبة الفكر.

(وعندي مصورتين لمخطوطتين وهي قيد التحقيق).

١١- ثمرات النظر في علم الأثر. مخطوط^(١).

١٢- المسائل المرضية. وهي قيد التحقيق.

١٣- التنوير شرح الجامع الصغير للسيوطي. مخطوط.

١٤- السيف الباتر في يمين الصّابر والشافر. مخطوط.

وغيرها من المصنّفات المفيدة، وقد جمع غالب أسماء مؤلفات الصنعاني، مع الدّلالة على أماكن وجودها، الأستاذ عبدالله الحبشي، في بحث نشر في مجلة العرب، العددان التاسع والعاشر، من السّنة السّابعة ١٣٩٣هـ. ولم يستوعب كل مؤلفات المصنف - يرحمه الله -.

□ اسم المخطوطة ووصفها:

في بداية عام ١٤٠٩هـ تقريباً، كنت في زيارة للمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأثناء مطالعتي لبعض فهارسها، وقع بصري على عنوانٍ لمخطوطة صغيرة، لفتت نظري كثيراً.

وهي: «حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة». لمؤلفها محمد ابن إسماعيل الأمير، فطلبت تصويرها للفائدة، وأخذت أطلعها فنالت

(١) تقدّم به أحد طلّاب العلم اليمنيين وهو الأخ/ أحمد ناشر، وذلك لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك سعود.

إعجابي لما وجدتُ فيها من تحرير دقيق ، وبيان جيد لمدلول هذا الحديث العظيم .

فقلت بنسخها ومقابلتها ، وانتهيت من ذلك ليلة الأحد ٢٩ / ١١ / ١٤٠٩ هـ . وأخذت أبحث عن نسخة لهذه المخطوطة في المكتبات في شتّى البلدان ، وسألت من لهم اهتمامات بذلك ، خصوصاً في اليمن ، ولكن خاب رجائي ، فأخذت أعلّق على هذه النسخة في أوقات متقطعة على حسب الوقت المتيسّر لي ، وشجّعني بعض الفضلاء - جزاهم الله خير الجزاء - على إخراج هذه الرسالة ، فكان ذلك من الدوافع التي جعلتني أزداد حرصاً على نشرها .

وهذه المخطوطة ضمن مجموع تحت رقم ٢٥٥٨ ، وهي نسخة تامة ، تقع في أربع ورقات من الحجم الكبير ، الورقة الأولى كتب عليها الناسخ اسم المخطوطة - كما مر ذلك معنا - وكتب بعض الحكم والأشعار ، وذكر أنّه نسخها من ورقة بخط المصنف ، والأوراق الثلاث لمضمون الرسالة .

وخط الناسخ عموماً لا بأس به ، على أن هناك بعض الكلمات يصعب قراءتها إلا بعد جهد جهيد ، إضافة إلى أن الناسخ أهمل التنقيط في كثير من الجمل ، ووقع في أخطاء إملائية فقامت بالتعديل دون الإشارة إلى شيء من ذلك في الحاشية .

وتتضمّن الورقة الثانية ثلاثة وثلاثين سطراً ، بمعدل عشرين كلمة في السطر ، بالخط الدقيق .

أما الورقة الثالثة : فتتضمن سبعة وثلاثين سطراً.

وأما الورقة الأخيرة فأسطرها ثلاثون ، وعدد جملها قليل . وناسخُ هذه المخطوطة هو علي أحمد إسماعيل وقد انتهى من نسخها يوم السبت السادس عشر من صفر ١١٥٠ هـ .

ولما أردتُ أن أدفع بالرسالة إلى المطبعة ، التقيت بالدكتور محمد ابن عبدالرحمن الخميس وذكّرتُ له هذه المخطوطة ، وأني عازمٌ على طباعتها ، فأخبرني بأن لديه مصورة للمخطوطة ، وتوقّعت أنها كالتي لدي فطلبتها فلم يتردد جزاءه الله خيراً .

فأخذتها وطالعتها ، فوجدت أنها الأصل الذي كتبه بخط يده العلامة محمد بن إسماعيل الأمير ، فازدادت قيمتها لديّ ، وحمدت الله على التوفيق بعد طول انتظار ، وأخذت في مقابلتها على الأخرى ، بل وقمتُ بنسخها ، وقابلت ما نسخته قبلُ عليها ، واعتمدتها أصلاً ، ورمزت إليها بـ (أ) . والثانية رمزت إليها بـ (ب) ، وأثبتت الفروق بينهما . وهذه النسخة (أ) ضمن مصوّرات الجامعة الإسلامية تحت رقم ١٨ ، ورقم الفيلم ٥٦٠ ، وقد صوّرت عن المخطوطة الأصل ، المحفوظة في مكتبة دار العلوم لندوة العلماء بلكهنو (الهند) ، وعدد الأوراق أربع . أما الأوراق الثلاث الأولى فعدد أسطرها ثلاثون سطراً ، بمعدل سبعة عشر كلمة في السطر الواحد ، والورقة الرابعة فيها خمسة أسطر فقط . وُكِّتت بخط المصنف - يرحمه الله - ، جاء في أعلى الورقة الأولى ما نصّه : «جواب سؤال سألني عنه السيّد العلامة إبراهيم بن أحمد العثماني - عافاه الله -

أصل سؤاله هل . . الحديث صحيح أم لا، بخصوص
معناه والمصنف - يرحمه الله - لم يضع عنواناً لهذه الرسالة، وفي
نسخة «ب» قام الناسُ بتسمية الرسالة: «حديث افتراق الأمة إلى نيف^(١)
وسبعين فرقة». وقد اعتمدت هذه التسمية لهذه الرسالة.

* عملي في الرسالة :

- قمت بنسخ المصورتين كل على حدة.
- قمت بالمقابلة بينهما.
- أثبت الفروق بينهما بعد ذلك.
- قمت بتبييض ما نسخته.
- عزوت الآيات إلى مواضعها.
- خرّجت الأحاديث، وبينت درجتها من الصحة أو الضعف وفق قواعد
وأصول علم المصطلح، واستشهدت بأقوال الأئمة في هذا الشأن.
- وضعت بعض التعليقات الضرورية على بعض النصوص.
- صنعت فهرساً للآيات وآخر للأحاديث، وفهرساً للمراجع، وفهرساً
عاماً.

هذا ما قمتُ بعمله وهو جهد المقل، فما وافق فيه الصواب فمن

(١) انظر: صفحة ٩٦، ٩٧.

المولى - جلّ وعلا - ، وما ندّ من خطأ فمن قصور من حَقِّقه ، وأسأل الله
مغفرة الزَّلَل ، وستر العيوب ، وحقُّ على كلِّ أخٍ مؤمنٍ يُحبُّ لأخيه ما
يُحبُّه لنفسه - أن يُقدِّم نصيحته في السِّرِّ بالتي هي أحسن ، للتي هي أقوم ،
مع دعائي له بالمغفرة والثبات ، وحسن الختام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة والسلام على
خاتم النبيين ، وآله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وكتبه :

أبو أكثم سعد بن عبد الله بن سعد السعدان القضاوي

يوم الثلاثاء ١٠ / ٦ / ١٤١٤ هـ بعد صلاة العصر

غفر الله له ولوالديه ولعمامة المسلمين .

ص . ب ٨٦٦٦٢

الرياض ١١٦٣٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حديث^(١) افتراق الأمة^(٢) ورد من طرق عديدة، ساقها ابن الأثير^(٣)
- يرحمه الله -، في جامع الأصول^(٤)، فقال: أخرج أبو داود عن معاوية،

(١) في ب: «الحمد لله ومنه الإعانة، حديث...».

(٢) في ب: «حديث افتراق الأمة قد...».

(٣) القاضي المحدث اللغوي الأصولي، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ثم الموصلي الكاتب ابن الأثير، مؤلف جامع الأصول، وغريب الحديث وغيرهما، روى الكتب نازلاً فأسند صحيح البخاري وصحيح مسلم، والموطأ، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وهو من بيت علم، فأخوه عز الدين ابن الأثير مؤلف كتاب الكامل في التاريخ، والآخر وهو الوزير ضياء الدين ابن الأثير هو مؤلف كتاب المثل السائر. وقد أصيب أبو السعادات فعرض له فالج في أطرافه، ولزم داره وأخذ العلماء وال슬اطين يزورونه ليستفيدوا من علمه الجم، ولد سنة أربع وأربعين وخمس مائة، بجزيرة ابن عمر، وتوفي سنة ست وست مائة بالموصل - يرحمه الله -.

(٤) يعتبر كتاب: «جامع الأصول» لابن الأثير من الكتب المفيدة جداً فقد قام مصنفه بدمج الأحاديث التي وعثها وحوتها الكتب الستة - عدا سنن ابن ماجه حيث أبدل به الموطأ -، ورَبَّهَا، وهذَّبَهَا، وشرح الغريب، وبيَّن مُشْكَلَ الإِعْرَابِ، واكْتَفَى بِذِكْرِ رَاوِي الْحَدِيثِ مِنْ صَحَابِيهِ أَوْ تَابِعِيهِ، وَلَقَدْ افْتَتَحَ كِتَابَهُ بِمَقْدَمَةٍ حَافِلَةٍ أَوْضَحَ فِيهَا مَنَهْجَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ جُلَّ قَوَاعِدِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَتَرْجَمَ لِلْأُئِمَّةِ السَّتَةِ، وَبَيَّنَّغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْرَصَ عَلَى اقْتِنَاءِ هَذَا السَّفَرِ الْفَذِّ لِعَظِيمِ فَائِدَتِهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

قال : قام فينا رسول الله ، ﷺ ، فقال : «ألا إنَّ^(١) من قبلكم من أهل الكتاب ، افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإنَّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة»^(٢) .

(١) في النسخة المطبوعة من جامع الأصول ورد اللَّفْظ : «ألا إنَّ من كان قبلكم» . ٣٢ / ١٠ .

وفي سنن أبي داود ٥ / ٥ ، ٦ ، بدون لفظة «كان» .

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي ٢٧٥٤ ، والإمام أحمد في المسند ٤ / ١٠٢ ، وأبو داود في كتاب السنة ٥ / ٥ ، والدارمي في كتاب : الجهاد ، باب : في افتراق هذه الأمة ٢ / ١٥٨ ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ، باب : ذكر الأهواء المذمومة ١ / ٧ ، والمروزي في كتاب السنة ١٩ ، ٢٠ ، والآجري في الشريعة ١٨ ، والطبراني في الكبير ١٩ / ٣٧٦ ، والعكبري في الإبانة ، باب : ذكر افتراق الأمم في دينهم ، وعلى كم تفترق هذه الأمة ١ / ٣٧١ ، والحاكم في كتاب العلم ١ / ٢١٨ ، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ١٠١ ، والبيهقي في دلائل النبوة ، باب : ما جاء في إخباره بظهور الاختلاف في أمته ٦ / ٥٤١ ، ٥٤٢ ، وقوام السنة الأصبهاني في الحجة بيان المحجة ١ / ٢٥٣ ، والعتطار الهمداني في جزء : «فتيا وجوابها» ٥٧ ، ٥٨ ، كلهم من طريق صفوان بن عمرو ، قال : حدثني أزهر بن عبدالله الحرازي عن أبي عامر الهوزني ، عن معاوية ، الحديث .

وفي جامع الأصول بعد إيراده لهذه الرواية قال : زاد في رواية : «وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء ، كما يتجارى الكلبُ بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله» . أخرجه أبو داود هـ . ٣٢ / ١٠ ، وهذه رواية أبي داود وهي مختصرة وفي روايات أخرى فيها زيادة .

قلت : وأزهر بن عبدالله الحرازي اختلفوا فيه ، فوثقه العجلي وابن حبان وقال أبو داود : إني لأبغض أزهر الحرازي .

وقال الذهبي في الميزان : «تابعي - حسن الحديث - لكنه ناصبي ينال من علي رضي الله عنه» .

وقال في المغني : «صدوق ، لكنه ناصبي ، ينال من علي رضي الله عنه» . =

وأخرج أبو داود، والترمذي، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين»^(١)، والنصارى مثل ذلك. وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»^(٢).

= وقال ابن حجر: «صدوق، تكلموا فيه للنصب». وأزهر الحرازي وإن تكلم فيه البعض بيدعة النصب، فهو حسن الحديث. وبالتالي فالحديث إسناده حسن، ويصح بالشواهد. وهذا الإسناد لهذا الحديث، صححه وحسنه نقاد الحديث وحفاظه. قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء - بعد أن أورد بعض طرق حديث الافتراق ومنها هذا الطريق -: «وأسانيدها جيد». وقال الحاكم أيضاً بعد أن ساق بعض الطرق للحديث: «هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث». وأقره الحافظ الذهبي على ذلك. وقال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم: «هذا حديث محفوظ . . .». وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: وإسناده حسن.

(١) في ب: «وسبعين فرقة».

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٣٢/٢، وابن ماجه في كتاب الفتن ٣٩٩١، وأبو داود في كتاب السنة ٤٥٩٦، والترمذي في كتاب الإيمان ٢٦٤٢، وابن أبي عاصم في السنة ص ٣٣، والمروزي في السنة رقم ٥٨، وأبو يعلى في مسند ابن مسعود ٣٤٥/٥، ٣٤٦، ٣٦٧، ٤١١، وابن حبان في (الموارد) كتاب الفتن ١٨٣٤، والآجري في الشريعة ص ١٥، وابن بطة في الإبانة ٣٧٤/١، والحاكم في كتاب الإيمان ٤٧/١، وعبدالقاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ص ٥، والبيهقي في الكبرى ٢٠٨/١٠، وابن الجوزي في تليس إبليس ١٨.

كلهم من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة به، وإسناده حسن، لحال محمد بن عمرو، وهو ابن علقمة ابن وقاص الليثي، أبو عبدالله، ويقال أبو الحسن المدني روى له الجماعة، غير أن الإمام البخاري روى له مقروناً بغيره، =

وفي رواية أبي داود: «وتفرقت النصارى على إحدى وسبعين، أو اثنين^(١) وسبعين فرقة». وذكر الحديث.

وقال: حسن صحيح^(٢).

وأخرج الترمذي عن ابن^(٣) عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله،

-
- = وروى له مسلم في المتابعات.
- قال أبو حاتم: صالح الحديث، يكتب حديثه.
- وقال ابن عدي: له حديث صالح.
- وقال النسائي: ليس به بأس، وقال مرة: ثقة.
- وقال ابن معين: ما زال الناس يتقون حديثه.
- وقال الجوزجاني: ليس بقوي الحديث، ويُسْتَهْي حديثه.
- وقال الذهبي: صدوق. اهـ.
- وقال ابن حجر: صدوق له أوهام. اهـ. لذا فمحمّد بن عمرو صدوق حسن الحديث والحديث يرتقي للصحة بشواهد الكثرة.
- وقد صححه جمع من علماء الحديث، فقد قال الترمذي: حديث حسن صحيح، كما في سننه.
- وقال شيخ الإسلام في الفتاوى: الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد.
- وصححه الإمام الشاطبي في الاعتصام. وغيرهم.
- (١) في ب «وسبعين فرقة أو اثنتين».
- (٢) في النسخة المطبوعة من جامع الأصول ٣٣/١٠، بعد ذكره للحديث، قال: «أخرجه الترمذي، وفي رواية أبي داود قال: . . . إلخ.
- وليس في المطبوع قوله: وقال: حسن صحيح.
- وقد يتبادر للذهن أن قول: وقال: حسن صحيح، من كلام أبي داود، وليس الأمر كذلك بل هو قول الترمذي في سننه ٢٦٤٢.
- قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.
- (٣) في ب «أبي»، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه، لأنها من رواية عبدالله بن عمرو بن العاص، وكما جاءت في نسخة المصنف (أ).

ﷺ: «لَيَأْتِينَ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَذَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً، لِيَكُونَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً. قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: غَرِيبٌ (١).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ ٢٦٤٣، وَابْنُ وَضَّاحٍ فِي الْبَدْعِ وَالنَّهْيِ عَنْهَا ص ٨٥، وَالْمُرُوزِيُّ فِي السَّنَةِ ٥٩، وَالْعَقِيلِيُّ فِي الضَّعْفَاءِ ٢/٢٦٢، وَالْأَجْرِيُّ فِي الشَّرِيعَةِ ١٥، ١٦، وَابْنُ بَطَّةٍ فِي الْإِبَانَةِ ١/٣٦٨، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ١/٢١٨، وَاللَّكَاثِيُّ فِي شَرْحِ السَّنَةِ ١/٩٩، وَعَبْدُ الْقَاهِرِ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْفِرَقِ ٦٥، وَقَوَّامُ السَّنَةِ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ ١/١٠٦، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ ص ٧، كُلُّهُمْ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَنْعَمِ الْأَفْرِيقِيِّ، عَنْ بَنِي يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو هـ . .

وَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ لِأَنَّ مَدَارَهُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَنْعَمِ الْإِفْرِيقِيِّ، الْقَاضِي، عَدَّادُهُ فِي أَهْلِ مِصْرَ، وَوَلِيُّ قَضَاءِ أَفْرِيقِيَّةَ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي تَوْثِيقِهِ.

وَالْجُمْهُورُ يُجْمَعُونَ عَلَى ضَعْفِهِ، لِرَوَايَتِهِ الْمُنَاكِيرِ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ: ضَعْفُوهُ.

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: ضَعِيفٌ فِي حِفْظِهِ . . . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا.

لَكِنِ الشَّوَاهِدُ لِهَذَا الْحَدِيثِ تَرْفَعُهُ لِمَرْتَبَةِ الْحَسَنِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِي الْمَطْبُوعِ مِنَ الْجَامِعِ، ١٠/٣٣، ٣٤، بَعْدَ إِيرَادِهِ لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ. اهـ.

وَفِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ ٢٦٤٣ قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ مَفْسَّرٌ، حَسَنٌ، غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا، إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وأخرج ابن ماجة مثل ذلك ، عن عوف بن مالك^(١) ، وأنس^(٢) .

(١) حديث عوف بن مالك ، أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن ٣٩٩٢ ، وابن أبي عاصم في السنة ، باب فيما أخبر به النبي ﷺ : « أن أمته ستفترق . . . » . ٣٢ / ١ .
والطبراني في الكبير ٧٠ / ١٨ ، وفي مسند الشاميين ١٠٠ / ٢ ، ١٠١ ، وعلقه الحاكم في كتاب الإيمان ٤٧ / ١ وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٠١ / ١ ، وقوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ١٠٩ / ١ .
وأخرجه الحافظ المزي عالياً في تهذيب الكمال ١٨٠ / ١٤ ، ١٨١ .
كلهم من طريق عمرو بن عثمان ، حدثنا عباد بن يوسف ، حدثنا صفوان بن عمرو ، عن راشد بن سعد ، عن عوف بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة ، وسبعون في النار ، وافترت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، فأحدى وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة . وثنتان وسبعون في النار » . قيل : يا رسول الله . من هم ؟ قال : « الجماعة » . ورجاله ثقات ، غير عباد بن يوسف الكندي ، أبو عثمان الحمصي الكرابيسي . ذكره ابن حبان في ثقاته .

وقال ابن عدي : « روى أحاديث تفرّد بها » . ووثقه ابن ماجة ، وابن أبي عاصم .
وقال الذهبي في الكاشف : صدوق يُغرب .
وقال ابن حجر : مقبول .

وعلى هذا فإسناد الحديث من هذا الطريق حسن لغيره بما سبق من الشواهد ولهذا الحديث طريقان آخران عن عوف بن مالك .

(٢) حديث أنس بن مالك له طرق كثيرة عن أنس .

* فقد ورد من طريق قتادة عنه .

* وورد من طريق سليمان بن طريف عنه .

* وورد من طريق عبدالعزيز بن صهيب عنه .

* ومن طريق زيد بن أسلم عنه .

* وورد من طريق يزيد الرقاشي عنه .

انتهى ما ساقه ابن الأثير، في الجزء الثالث في حرف الفاء .

إذا عرفت هذا، فالحديث قد استشكل من جهتين :

الجهة الأولى :

ما فيه من الحكم على الأكثر بالهلاك والكون^(١) في النار، وذلك يُنافي الأحاديث الواردة في الأمة بأنها أمة مرحومة، وبأنها أكثر الأمم في الجنة .

منها : حديث أنس ، عنه ، رضي الله عنه : « أمتي أمة مرحومة ، مغفور لها ،

= * ومن طريق «العميري» ! عنه .

* ومن طريق سعد بن أبي هلال عنه .

* ومن طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عنه .

* ومن طريق الزبير بن عدي عنه .

وكل طريق لا يخلو من مقال ؟! لكن الطرق بمجموعها تُبين أن الحديث يصح ، خصوصاً وأن الشواهد كثيرة بحمد الله لهذا الحديث .

(١) قال ابن الأثير : « الكون مصدر كان التامة ، يقال : كان يكون كوناً ، أي : وجد

واستقر ، يعني : أعودُ بك من النقص بعد الوجود والثبات » النهاية ٢١١ / ٤ .

ومن المعلوم أن عقيدة أهل السنة والجماعة على مقتضى النصوص الشرعية ، أن لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد ، فبعضهم من أهل الكبائر ، والمعاصي ، يدخلون النار حقيقة ، ويعذبون فيها ، ومن ثم يُخرجون ولا يخلدُون في النار ، وذلك إما برحمة الله تبارك وتعالى ، أو بشفاعة الشافعين .

قال شيخ الإسلام : « ومذهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، وسائر أهل السنة والجماعة ، أنه ، رضي الله عنه ، يشفع في أهل الكبائر ، وأنه لا يخلد في النار من أهل الإيمان أحد ، بل يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال ذرة من إيمان » . مجموع الفتاوى ٣١٨ / ١ .

متاب عليها»^(١) . وغيره ممّا مُلِيتْ به كتب السّنة من الأحاديث الدّالة على

(١) أخرجه أبو أحمد الحاكم في الكُنْى، كما في الكنز ١٢/١٥٥ ، والجامع ٢/١٨٥ .
وكتاب الحاكم لم يزل مخطوطاً وقد بحثت عن مخطوطته لأقف على إسناده فلم
يتيسّر لي ذلك ، غير أنّ محقق كتاب الأموال لابن زنجويه د/ شاكر ذيب فياض ،
ذكر في جريدة المراجع ، هذا الكتاب ، وقال : إنه ضمن مصوّرات مركز البحث
العلمي بجامعة أم القرى ، وقد بحثنا في المركز ، والمكتبة العامة ولم نعر عليه ؟!
ونرجو من يعلم عن هذه المخطوطة شيئاً أن يخبرنا .

والحديث أخرجه ابن ماجه بلفظ مختلف ، قال : حدثنا جُبارةُ بن المُغلّس ثنا كثير
بن سُليم ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ مَرْحُومَةٌ ،
عَذَابُهَا بَأْيْدُنِهَا ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، دُفِعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ، فَيَقَالُ هَذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ» .

وَجُبارةُ بن المُغلّس ، هو أبو محمد الكوفي ، الحِمَانيّ .

قال البخاري : حديثه مضطرب .

وقال ابن حجر : ضعيف .

وكثير بن سُليم الضبيّ ، ضعفه ابن معين ، وقال أبو زُرعة : واهي الحديث .
وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، منكر الحديث ، لا يروي عن أنس حديثاً له
أصل من رواية غيره .

وأخرجه القضاعي في المسند ٢/١٠٠ من طريق أبي بكر بن عياش عن حميد ، عن
أنس ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ» . وأبو بكر بن عياش بن
سالم الأسدي ، قال ابن حجر : ثقة عابد ، إلّا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح .
وقال الذهبي : «أحد الأعلام ، صدوق ثبت في القراءة ، لكنه في الحديث يغلط
ويهم ، وقد أخرج له البخاري ، وهو صالح الحديث ، لكنه ضعفه محمد بن عبدالله
بن نمير» .

وفي إسناده الحديث رجال فيهم كلام ، وبعض رجال السند لم أقف على تراجمهم .
وأخرجه الطبراني في الأوسط ٢/٥٢٣ قال : حدثنا أحمد بن طاهر ، قال : حدثنا
جدّي حرملة بن يحيى ، قال : حدثنا حماد بن زياد البصري ، قال : حدثنا حميد =

سعة رحمة الله لها .

ولو سردناها لطال الكلام^(١) .

= الطويل — وكان جاراً لنا — قال : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : «أمّتي أمّة مرحومةٌ، مُتابٌ عليها، تدخلُ قبورها بذُنوبها، وتخرجُ من قبورها لا ذُنُوبَ عليها، تُمَحَّصُ عنها ذُنُوبُها باستغفار المؤمنين لها» .

قال الهيثمي في المجمع ١٠ / ٦٩ «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه أحمد بن طاهر بن حرملة، وهو كذاب». والحديث ضعّفه السيوطي كما في الفيض ٢ / ١٨٥ ، وابن الجوزي في العلل ٢ / ٩٢٧ .

وقال النسائي : هذا حديثٌ منكراهُ كما في العلل . وبالجملّة فالحديث بهذا اللفظ ضعيف جداً .

(١)

من ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف الحشر ٦١٦٣ ، والإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ٢٢١ ، كلاهما من طريق شعبة، عن أبي اسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله، قال : كنا مع رسول الله ، ﷺ ، في قُبّةٍ نحواً من أربعين رجلاً، فقال : «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قال : قلنا : نعم، فقال : «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قلنا : نعم، فقال : «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وذاك أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وما أنتم في أَهْلِ الشَّرْكِ إِلَّا كالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ» واللفظ لمسلم . ومن ذلك — أيضاً — ما أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو ٥٣٧٨ ، ومسلم في كتاب : «الإيمان» ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب . من حديث ابن عباس — رضي الله عنهما — قال : قال رسول الله ﷺ : «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمْرُؤَانِ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ : ما هذا؟ أمّتي هذه؟ قيل : هذا موسى وقومُه، قيل : انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأَفْقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي : انْظُرْهَا هُنَا، وَهِيَ هُنَا فِي آفَاقٍ =

ولمّا كان حديث الافتراق مشكلاً كما ترى، أجاب بعضهم: بأن المراد بالأمّة فيه، أمّة الدّعوة لا أمّة الإجابة!

يعني أنّ الأمّة التي دعاها رسول الله، ﷺ، إلى الإيمان بالله، والإقرار بوحدانيته، هي المفترقة إلى تلك الفرق، وأنّ أمّة الإجابة هي الفرقة النّاجية. يُريد بها من آمن بما جاء به النبي، ﷺ، فلا إشكال.

وهذا جوابٌ حسنٌ لولا أنّه يبعده (١) وجوه:

* الأوّل: أنّ لفظ أمتي حيث جاء في كلامه، ﷺ، لا يراد به إلاّ أمّة الإجابة غالباً (٢)، كحديث: «أمتي أمّة مرحومة» (٣).

وحديث: «لا تزال طائفة من أمتي» (٤).

= السّماء، فإذا سوادّ قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك، ويدخل الجنّة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب... الحديث، واللفظ للبخاري. وأخرج ابن حبان في صحيحه: «الإحسان» ٦٦٤٧، والبيهقي في الدلائل ٣/٧٦ وغيرهما بإسناد صحيح، من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله إذا أراد رحمة أمّة من عباده، قبض نبيّها قبلها، فجعل لها فرطاً وسلفاً، وإذا أراد هلكة أمّة عدّها، ونبيّها حيّاً، فأقرّ عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره».

(١) وما ذكر المصنف هو الصواب، فالمقصود بالأمّة أمّة الإجابة، لا أمّة الدعوة، والله أعلم.

(٢) لفظة «غالباً» ليست في ب.

(٣) سبق تخريجه من حديث أنس ص ٥٣، ٥٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسّنة، باب قول النبي ﷺ: «لا تزال

طائفة من أمتي ظاهرين على الحق». وهم أهل العلم، ٦٨٨١، ومسلم في كتاب =

وحدیث: «أمتی هذه أمة مرحومة، لیس علیها عذابٌ فی الآخرة» (۱).

- = الإمامة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم». ۱۹۲۱. من حديث المغيرة بن شعبة، عن النبي، ﷺ، قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»، وهذا لفظ البخاري. ولفظ مسلم: «لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس . . .».
- * وورد من حديث جابر بن عبد الله، - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «لا تزال طائفة من أمتي، يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة»، أخرجه مسلم، في كتاب الإمامة، باب قوله ﷺ: «لا تزال . . .».
- ۱۹۲۳، وغيره.
- * وورد من حديث ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». أخرجه مسلم، في الموضع السابق، ورقمه ۱۹۲۰، وغيره.
- * وورد من رواية معاوية - رضي الله عنه -، قال: سمعت النبي، ﷺ، يقول: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ . . .﴾ ۷۰۲۲، واللفظ له.
- ومسلم في كتاب الإمامة، باب قوله ﷺ: «لا تزال . . .». ۱۰۳۷.
- * وورد من رواية جابر بن سمرة، رضي الله عنه عن النبي، ﷺ، أنه قال: «لن يبرح هذا الدين قائماً، يُقاتل عليه عصابة من المسلمين، حتى تقوم الساعة» أخرجه مسلم في كتاب الإمامة، باب قوله ﷺ: «لا تزال . . .». ۱۹۲۲. وللحديث روايات أخر، لذلك عده جمع من أهل العلم من الأحاديث المتواترة
- (۱) أخرجه أبو داود في كتاب الفتن والملاحم ۴۲۷۸، والإمام أحمد في المسند ۴/ ۴۱۰ - ۴۱۸، وعبد بن حميد في المنتخب ۵۳۶، والحاكم في المستدرک، في كتاب الفتن والملاحم ۴/ ۴۹۱، والقضاعي في مسند الشهاب ۲/ ۱۰۰، ۱۰۱، والبيهقي في الآداب ۸۹۷، كلهم من طريق المسعودي، عن سعيد بن أبي بُردة، عن أبيه، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمتي أمة مرحومة، ليس =

= عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا الفتن، والزلازل، والقتل» .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه ، وأقره الذهبي .

وقال الحافظ في بذل الماعون : سنده حسن اهـ .

قلت : المسعودي هو عبدالرحمن بن عبدالله بن عُتبة بن صاحب رسول الله ، ﷺ ،

عبدالله بن مسعود الكوفي المسعودي . وثقه أحمد وابن معين ، وقال ابن المديني :

ثقة ، قد كان يغلط فيما روى عن عاصم بن بهدلة ، وعن سلمة .

وقال ابن نمير : المسعودي ثقة واختلف بأخوه .

وقال النسائي : ليس به بأس .

وقال شعبة : صدوق .

وقال ابن حبان : اختلف حديثه فلم يتميز ، فاستحق الترك .

وقال العقيلي : كوفي تغير في آخر عمره ، في حديثه اضطراب .

وقال ابن حجر : صدوق اختلف قبل موته .

قلت : المسعودي ثقة كما تقدم ، لكن نظراً لاختلاطه فقد فصل العلماء في أمره

بما خلاصته أن من سمع منه ببغداد فبعد اختلاطه ، ومن سمع منه بالكوفة والبصرة

فقبل الاختلاط ، وسماعه صحيح .

والحديث صحيح ، فله متابعات كثيرة ، فقد تابع المسعودي على روايته خلق كثير

منهم : حرملة بن قيس النخعي ، كما أخرج ذلك الحافظ إمام السنة في زمانه نعيم

بن حماد ، في كتاب الفتن ٢ / ٦١٤ ، وأبو يعلى في مسنده ٧٢٤٠ . وتابعه - أيضاً -

معاوية إسحاق بين طلحة ، كما أخرج ذلك الإمام أحمد ٤ / ٤٠٨ .

وطلحة بن يحيى ، كما أخرج ذلك الإمام أحمد ٤ / ٤١٠ ، وعبد بن حميد في

المنتخب ٥٣٧ . ومنهم عبدالملك بن عمير ، عند الطبراني في الأوسط

١ / ٢٧ - ٢٨ .

ومنهم البخترى بن المختار ، عند القضاعي في المسند ٢ / ١٠٠ .

ومنهم عمر بن عبدالعزيز ، كما في مسنده ١١٧ ، ١١٨ . تخريج الحافظ

الباغندي .

=

وكذلك عند القاضي الخولاني، في تاريخ داريا ص ٨٧. ومنهم رباح بن الحارث، عند البخاري في التاريخ الصغير ٢٨٣/١. ومنهم عمرو بن قيس، عند القطيعي في جزء الألف دينار رقم ٩٠. ومنهم عروة بن عبد الله بن قشير، عند الطبراني في الأوسط ١٣٥/٣، ولفظه: «أمتي أمة مرحومة، لا عذاب عليها في الآخرة، إذا كان يوم القيامة دُفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من اليهود والنصارى، فيقال: يا مسلم، هذا فداؤك من النار».

قال الطبراني: «لم يزرو هذا الحديث عن عروة بن عبد الله بن قشير إلا جعفر بن الحارث، ولا عن جعفر بن الحارث، إلا إسماعيل تفرّد به يحيى بن يحيى». اهـ. وأخرجه في الصغير قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة التميمي، حدثنا زهير بن محمد التميمي، عن سالم أبي النضر، مولى عمر بن عبد الله بن معمر التميمي، وعبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي بردة، عن أبيه - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ، قال: «أمتي أمة مرحومة، جعل الله عذابها بأيديها، فإذا كان يوم القيامة، دُفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من أهل الأديان، فكان فداء من النار».

وقال الطبراني: لم يروه عن سالم وابن خثيم إلا زهير تفرّد به عمرو اهـ، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٩٢٧/٢ من طريق عبد الله بن قشير، عن أبي بكر ابن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى بلفظ مقارب لرواية الطبراني.

والشطر الأخير من الحديث السابق. أخرجه الإمام مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله، ٢٧٦٧. من طريق طلحة بن يحيى، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة، دفع الله عز وجل - إلى كل مسلم، يهوديًا، أو نصرانيًا، فيقول: هذا فكاكك من النار».

وفي الباب عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمتي أمة مرحومة قد رُفع عنهم العذاب، إلا عذابهم أنفسهم بأيديهم».

قال الحافظ الهيثمي في المجمع ٢٢٤/٧: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعيد ابن مسلمة الأموي، وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان، وقال: يُخطيء، وبقية رجاله ثقات». اهـ.

= وأخرجه أبو يعلى في المسند، مسند ابن مسعود ٦١٧٦، موقوفاً على أبي هريرة، بلفظٍ مقارب وزيادة.

* وفي الباب عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عند الحافظ الإمام نعيم بن حماد، في كتاب الفتن ٥٩٣/٢.

قال: حدثنا ابن وهب، عن مسلمة بن علي، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن ابن شهاب، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمتي أمةٌ مرحومة، لا عذاب عليها في الآخرة، عذابها في الدنيا الزلازل والبلاء، فإذا كان يوم القيامة، أعطى الله كل رجل من أمتي رجلاً من الكفار من يأجوج ومأجوج، فيقال: هذا فداؤك من النار».

فقال رجل: يا رسول الله! فأين القصاص؟ فسكت.

قلت: وفي سنده مسلمة بن علي الخُشني، أبو سعيد الدمشقي، متروك الحديث.

قال البخاري، وأبو زُرعة: منكر الحديث.

وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث، لا يُشغل به، وهو في حدِّ التَّرك.

قال الذهبي: شامي واه.

وقال ابن حجر: متروك.

* وفي الباب عن خالد بن معدان، عند الحافظ نعيم بن حماد. في كتاب الفتن ٦١١/٢، قال: حدثنا بقية، وأبو المغيرة، عن أبي بكر، عن خالد بن معدان عن النبي ﷺ، قال: «أمتي لا عذاب عليها في الآخرة، إنما عذابها، الزلازل، والفتن في الدنيا».

قلت: بقية هو ابن الوليد، قال أحمد: له مناكير عن الثقات. قال ابن حجر: صدوق كثير التدليس عن الضعفاء اهـ. وأبو المغيرة هو عبدالقدوس بن الحجاج الخولاني، ثقة. وأبو بكر هو ابن عبدالله بن أبي مريم الغساني الشامي. وضعفه الإمام أحمد، وقال مرة: ليس بشيء، وضعفه يحيى بن معين، وقال أبو زُرعة: ضعيفٌ، منكرُ الحديث اهـ.

وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث اهـ، وضعفه الدارقطني والنسائي.

= وقال ابن حبان : كان رديء الحفظ يحدث بالشيء فيهم ، ويكثر ذلك ، حتى استحقَّ الترك . اهـ .

* وفي الباب عن معاذ بن جبل ، عند الحافظ نعيم بن حماد في كتاب الفتن ٦١٥ / ٢ .

قال : حدثنا بقية ، عن أبي العلاء ، عن محمد بن جُحادة ، عن يزيد بن حصين ، عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - ، عن النبي ﷺ ، قال : « أمتي أمةٌ مرحومةٌ ، لا عذاب عليها في الآخرة ، إنما عذابها في الدنيا ، فتن وزلازل وبلايا » . وأبو العلاء هو بُرد بن سنان الشامي الدمشقي ، قال أحمد : صالح الحديث . وقال ابن معين : ثقة . وقال النسائي : ليس به بأس ، وكذا قال أبو زُرعة ، وقال في موضع آخر : كان صدوقاً في الحديث ، وقال أبو حاتم : كان صدوقاً ، وكان قدرياً .

قال ابن حجر : صدوق رُمي بالقدر ، توفي سنة خمس وثلاثين ومائة .
ومحمد بن جُحادة هو محمد بن جُحادة الأزدي ، ويقال الإيامي الكوفي .

قال الإمام أحمد : محمد بن جحادة من الثقات .
وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه ، فقال : ثقة ، صدوق .
 وذكره ابن حبان في الثقات .

وقال ابن حجر : ثقة . توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة .
ويزيد بن حُصين ، هو ابن نمير بن نائل بن لبيد السكوني المتوفى سنة ١٠٣ هـ .
قال البخاري : لم يصح حديثه .

وقال ابن عدي : ويزيد بن حصين - أيضاً - ليس بمعروف ، ولا أعرف له من المسند شيئاً اهـ .

هذا وللحديث شواهد أخرى تركتها خشية الطول وقد توسعت في هذا الحديث مع أنه صحيح بحمد الله تعالى وذلك رغبة في الإفادة والاستفادة ، نسأل الله القبول .
ملحوظة : ربما أحد من الفضلاء ، نقد ما نقلته من بعض المتابعات التي أخرجها نعيم بن حماد في الفتن ، بحجة أن نعيم بن حماد ضعيف ! والأمر ليس على إطلاقه ، فنعيمٌ إمامٌ من أئمة السنة ، وحديثه في مرتبة الحسن ، إلا ما انتقد عليه من الأحاديث ، وما انفرد به مما يُنكر ! وقد شرعت في جمع أقوال أهل العلم من المحدثين وعلماء الجرح والتعديل فيه أسأل الله السداد والتوفيق والإعانة .

وحديث: «إذا وضع السيف في أمتي» (١).

وحديث: «ليكونن من أمتي قوم يستحلون الخنز» (٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٧٨/٥، ٢٨٤، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب: ما يكون من الفتن ٩٣٥٢. وأبو داود في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها رقم ٤٢٥٢. وابن حبان في صحيحه «الإحسان» في كتاب التاريخ ٦٧١٤. والحاكم في المستدرک، في كتاب الفتن ٨٣٩٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه بهذه السیاقه، إلخ. وأقره الذهبي، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦/٦٢٥. كلهم من طريق أبي قلابه، عن أبي أسماء، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: «زُوت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأعطيت الكنزين الأصغر (أو الأحمر) والأبيض، (يعني الذهب والفضة)، وقيل لي: إن ملكك إلى حيث زوي لك، وإني سألت الله - عز وجل - ثلاثاً، أن لا يسلب علي أمتي جوعاً فيهلكهم به عامّة، وأن لا يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، وإنه قيل لي: إذا قضيت قضاءً فلا مُردّ له، وإني لن أسلب علي أمتك جوعاً فيهلكهم فيه، ولن أجمع عليهم من بين أقطارها حتى يفني بعضهم بعضاً، ويقتل بعضهم بعضاً، وإذا وُضع السيف في أمتي فلن يرفع عنهم إلى يوم القيامة وإن مما أتخوف على أمتي أئمة مُضِلّين، وستعبد قباثل من أمتي الأوّثان، وستلحق قباثل من أمتي بالمُشركين، وإن بين يدي الساعة دجالين كذابين قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه نبي، ولن تزال طائفة من أمتي على الحق منصّورين، لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل». وهذا لفظ ابن ماجه، والفاظ الآخرين متقاربة.

وقد أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٢٨٨٩ والترمذي في الفتن ٢٢٦٧، والبعوي - في شرح السنة ١٤/٢١٥، ٢١٦، من طريق أبي قلابه، عن أبي أسماء، عن ثوبان، ولفظه مقارب، لكن بدون لفظ: «وإذا وضع السيف في أمتي».

وأخرجه مسلم مختصراً، في كتاب الإمارة، باب لا تزال طائفة ١٩٢٠.

(١) أخرجه البخاري تعليقاً، في كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر =

= ويسميه بغير اسمه ٥٥٩٠، فقال: وقال هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عبدالرحمن ابن يزيد ابن جابر، حدثنا عطية بن قيس الكلبي، حدثنا عبدالرحمن بن غنم الأشعري، قال: حدثني أبو عامر - أُو أبو مالك - الأشعري، والله ما كذبتني، سمع النبي، ﷺ، يقول: «ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ، يستحلُّونَ الحِرَّ والحريِرَ، والخمرَ والمعازِفَ، ولينزلنَّ أقوامٌ إلى جنبِ علمٍ، يروحُ عليهم بسارحةٍ لهم، يأتبهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولوا: أرجع إلينا غداً، فيبيئهمُ الله، ويضعُ العلمَ، ويمسحُ آخرينَ قردةً وخنازيرَ إلى يوم القيامة». وهذا الحديث صورته صورة المعلق، لكنه في حقيقته موصول. قال العراقي في ألفيته:

وإن يكن أول الإسناد حذف	مع صيغة الجزم فتعليقاً عرف
ولو إلى آخره، أما الذي	لشيخه عزاً بـ «قال» فكذى
عننة كخبر المعازِفِ	لا تصح لابن حزم المخالف

وأخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب ما جاء في الخز ٤٠٣٨، قال: حدثنا عبدالوهاب بن نجدة، حدثنا بشر بن بكر، عن عبدالرحمن بن يزيد ابن جابر الخ، ولفظه مختصر. وفيه: «... يستحلُّون الخزَّ والحريِرَ...». بالخاء والزاي المعجمتين قال ابن العربي: (هو بالمعجمتين تصحيف). فتح الباري ٥٧/١٠. وهي الرواية التي أوردها المصنف في نسخة (أ) وفي ب وردت لفظة (الحِرَّ). وهي الرواية الصحيحة. وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٨٢/٣، رقم ٣٤١٧، قال: حدثنا موسى بن سهل الجوني البصري، ثنا هشام بن عمار، به.

ولفظه لفظ البخاري، لكن بدون لفظة «الحِرَّ». وأخرجه في مسند الشاميين ٥٨٨، عن محمد بن يزيد بن عبدالصمد، عن هشام بن عمار به. وأخرجه ابن حبان في صحيحه «الإحسان» ١٥/١٥٤، عن الحسين بن عبدالله القطان، عن هشام بن عمار به، ولفظه مختصر. وأخرجه الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق ١٧/٥، ١٨، بإسناده إلى ابن حبان.

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى بإسناده ٢٧٢/٣، ٢٢١/١٠ وغيرهم. وقد توسع ابن حجر في تغليق التعليق ١٧/٥ فما بعدها، وفي فتح الباري ٥٣/١٠ فما بعد، فمن أراد الوقوف عليه رجع إليه.

والخلاصة أنَّ الحديث صحيح، لا كما زعم الإمام ابن حزم ومن قلده!؟

وغير ذلك مما لا يُحصى .

فالأمة في كلامه ، ﷺ (١) حيث أُطلقت لا تُحمل إلا على ما تُعورَفَ منها وعُهد بلفظها ، ولا تُحمل على خلافه ، وإن جاء نادراً (٢) .

* الثاني : قوله : « ستفترق » بالسّين الدّالة على أنّ ذلك أمر مستقبل .

* الثالث : قوله : « ليأتينَّ على أمتي » .

فإنه إخبار بما سيكون ويحدث ، ولو جعلناه إخباراً ينتهي بافتراق (٣) المشركين في المستقبل ، لما كان فيه فائدة ، إذ هم على ضلالة وهلاك ، اجتمعوا أو افترقوا .

* الرابع : قرنهم بطائفتي اليهود والنصارى ، فإنّ المفترقين منهما (٤) هم طائفتا (٥) الإجابة ، لظاهر قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴾ (٦) .

(١) في ب : « فالأمة في كلام النبي ﷺ » .

(٢) مثال ذلك ما ورد في صحيح مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبياً محمد ، ﷺ ، إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته ١٥٣ ، من حديث أبي هريرة ، عن رسول الله ، ﷺ ، أنه قال : « والذي نفس محمد بيده ، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلْتُ به ، إلا كان من أصحاب النار » .

(٣) في ب « إخباراً بتفريق » .

(٤) في ب « منهم » .

(٥) في ب : « طائفة » .

(٦) سورة البيّنة ، الآية : ٤ .

وقوله - تعالى - : ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ﴾ (١) .

وقوله (٢) : ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْعِلْمُ﴾ (٣) .

وقوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (٤) .

* الخامس : ما أخرجه الترمذي ، عن أبي واقد الليثي ، أن رسول
الله ، ﷺ ، لما خرج إلى غزوة حُنين ، مرّ بشجرة للمشركين كانوا يُعلّقون
عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط . فقالوا : يا رسول الله : اجعل لنا ذات
أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ، ﷺ : «سبحان الله» ! إلى أن

= قال القرطبي في تفسيره ٧٢٣٣/١٠ : قوله - تعالى - : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ﴾ ، أي : من اليهود والنصارى ، خصّ أهل الكتاب بالتفريق دون غيرهم وإن
كانوا مجموعين مع الكافرين ، لأنهم مظنون بهم فإذا تفرّقوا كان غيرهم ممّن لا
كتاب له أدخل في هذا الوصف : ﴿إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ . أي : أتتهم البيّنة
الواضحة ، والمعني به محمد ، ﷺ ، أي : بالقرآن موافقاً لما في أيديهم من الكتاب
بنعته وصِفته ، وذلك أنهم كانوا مجتمعين على نبوّته ، فلما بُعث جحدوا نبوّته ،
وتفرّقوا ، فمنهم من كفر بغياً وحسداً ، ومنهم من آمن . كقوله - تعالى - : ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ . إلخ اهـ .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣ .

(٢) في ب : «وقوله تعالى» .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٩ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٥ .

قال : «والذي نفسي بيده لتركبن سنن من قبلكم»^(١) .

وهذا خطاب لمن خاطبه^(٢) من أمة الإجابة قطعاً .

والذي يظهر لي في ذلك أجوبة :

* أحدها : أنه يجوز أن هذه الفرق المحكوم عليها بالهلاك قليلة

(١) أخرجه الطيالسي في المسند ١٣٤٦ ، وعبدالرزاق في المصنف ٢٠٧٦٣ ،
والحميدي في المسند ٣٧٥ / ٢ ، والإمام أحمد في المسند ٢١٨ / ٥ ، والترمذي في
كتاب الفتن ، باب لتركبن سنن من كان قبلكم ٢١٨١ ، وابن أبي عاصم في السنة
رقم ٧٦ ، والمروزي في كتاب السنة ص ١٦ ، ١٧ ، وأبو يعلى في المسند ١٤٤١ ،
والطبراني في الكبير ٢٤٣ / ٣ ، ٢٤٤ ، وغيرهم كلهم من طريق الزهري ، عن سنان
بن أبي سنان ، عن أبي واقد الليثي ، أن رسول الله ، ﷺ ، لما خرج إلى حنين مرَّ
بشجرة للمُشركين يقال لها ذات أنواطٍ يُعلّقون عليها أسلحتهم ، قالوا : يا رسول الله :
اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ ، فقال النبي ، ﷺ : «سُبْحَانَ اللَّهِ ، هذا كما
قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» ، والذي نفسي بيده لتركبن سنّة من كان
قبلكم . وهذا لفظ الترمذي .

وقال : هذا حديث حسنٌ صحيح اهـ .

قلت : سنان هو ابن أبي سنان الديلي ، ثقةٌ . وأبو واقد هو الحارث بن عوف ،
كما سمّاه البخاري وغيره ، صحابيٌّ شهد بدرًا ، وشهد الفتح ، وسكن مكّة ، وعداده
في أهل المدينة ، والحديث صحيحٌ ، ورجاله ثقات .

قال ابن الأثير في النهاية ١٢٨ / ٥ عند قوله : «اجعل لنا ذات أنواطٍ» ، «هي اسم
شجرة بعينها كانت للمُشركين ينوطون بها سلاحهم ، أي : يُعلّقونه بها ، ويعكفون
حولها ، فسألوه أن يجعل لهم مثلها ، فنهاهم عن ذلك ، وأنواطٌ جمع نوط ، وهي
مصدر سُمّي به المنوط» . اهـ .

(٢) في ب : «خطابه» .

العدد، لا يكون مجموعها أكثر من الفرقة الناجية، فلا يتم أكثرية الهلاك.

فلا يرد الإشكال [و] ^(١) إن قيل: يمنع عن هذا أنه خلاف الظاهر من ذكر كثرة عدد فرق الهلاك، فإن ^(٢) الظاهر أنهم أكثر عدداً ^(٣).

قلت ^(٤): ليس ذكر العدد في الحديث لبيان كثرة الهالكين، وإنما هو لبيان اتساع طرق الضلال وشعبها، ووحدة طريق الحق، نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ^(٥).

(١) الواو ليست في المخطوطتين، ووضعتها لتستقيم العبارة أكثر!

(٢) في ب: «وإن».

(٣) في ب: «أكثر قدراً».

(٤) في ب: «قلنا».

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

وبداية هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾.

قال القرطبي في تفسيره ٢٥٧٣/٤: «هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم، فإنه لما نهى وأمر حذر هنا عن اتباع غير سبيله، فأمر فيها باتباع طريقه»، ثم قال: «والصراط: الطريق، الذي هو دين الإسلام «مستقيماً»، نصب على الحال، ومعناه: مستويًا قويًا لا أعوجاج فيه، فأمر باتباع طريقه الذي طرفه على لسان نبيه محمد ﷺ وشرعه، ونهايته الجنة، وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار، قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾. أي: تميل». اهـ.

إلى آخر ما ذكر - يرحمه الله -، وقد أطال الحديث في هذا الموضوع، واستشهد بعدد من الأدلة من السنة تبين ضرورة لزوم الطريق المستقيم، والحذر والبعد من اتباع طرق الغواية والضلالة والبدع، وأورد أقوال السلف، ومن أراد المزيد من الفائدة فليرجع إليه.

أنه جمع السُّبُل المنهي عن اتباعها^(١) لبيان شعب^(٢) طرق الضلال وكثرتها وسعتها ، وأفرد سبيل الهدى والحق لوحده وعدم تعدده .

* وثانيها : أن الحكم على تلك الفرق بالهلاك والكون في النار ، حكم عليها باعتبار ظاهر أعمالها ، وتفريطها كأنه قيل : كلها هالكة^(٣) باعتبار ظاهر أعمالها ، محكوم عليها بالهلاك وكونها في النار^(٤) .

= وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : خطَّ لنا رسول الله ، ﷺ ، خطاً ، ثم قال : « هذا سبيل الله » . ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، وقال : « هذه سُبُل على كُلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه » ، وقرأ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ . أخرجه الطيالسي في المسند ٢٤٤ ، والإمام أحمد ١ / ٤٣٥ - ٤٦٥ ، والدارمي في سننه ١ / ٦٧ ، ٦٨ ، وابن أبي عاصم في السنة ١٧ ، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ، ص ٣١ ، والمروزي في السنة ١١ ، وأبو نُعيم في الحلية ٦ / ٢٦٣ وفي تاريخ أصبهان ٢ / ٦٦ ، والطبري في تفسيره ٨ / ٦٥ ، وابن حبان في صحيحه : « الإحسان » رقم ٦ ، ٧ ، والآجري في الشريعة ١٠ ، ١١ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ٨٠ ، ٨١ ، والبغوي في شرح السنة ١ / ١٩٦ ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ٦ ، ٧ ، وأبو شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث ٥٦ ، ٥٧ .

وغيرهم ، وإسناده حسن ، وللحديث طرق ، وشواهد ترقيه إلى الصَّحَّة . قال ابن عطية : « وهذه السبل تعم اليهودية ، والنصرانية ، والمجوسية ، وسائر أهل الملل ، وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع ، وغير ذلك من أهل التعتق في الجدل والخوض في الكلام ، هذه كلها عرضة للزلل ، ومظنة لسوء المعتقد » . اهـ تفسير القرطبي ٤ / ٢٥٧٤ .

(١) في ب واو زائدة « لبيان »

(٢) في ب : « شعب » .

(٣) قوله « هالكة » ، ليست في ب .

(٤) في أ « كونه » .

ولا يُنافي ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر، من رحمة الله لها،
وشفاعة نبيّها، وشفاعة صالحيّها لطالحيها^(٤٥). -----

(٤٥) الشفاعة في اللغة : الوساطة .

وفي النهاية : «هي السؤال في التّجاوز عن الذّنوب . والجرائم» . اهـ . وهي طلب
الخير للغير .

وتنقسم إلى نوعين :

الأول : شفاعة منفيّة ، وهي : التي تطلب من غير الله - تعالى - ، فيما لا يقدر عليه
إلاّ الله ، وهي الشفاعة في حقّ الكفّار ، والدليل قوله - تعالى - : ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ
الشّافِعِينَ﴾ .

والثاني : شفاعة مثبتة ، وهي : التي تطلب من المولى جَلّ وعلا ولا تكون إلاّ لأهل
التوحيد .

وهي مقيدة بأمرين :

الأمر الأول : إذن الله - سبحانه وتعالى - للشافع أن يشفع قال - تعالى - : ﴿مَنْ ذَا
الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ .

الأمر الثاني : رضا الله - تبارك وتعالى - عن المشفوع لهم ، قال - تعالى - : ﴿وَلَا
يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ .

والشفاعة المثبتة أنواع : أعظمها الشفاعة العظمى ، وهي خاصة بالنبيّ ، ﷺ ، وعامة
لجميع الناس ، وهي : المقام المحمود الذي وعد الله به رسوله ، ﷺ : ﴿عَسَى أَنْ
يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ .

وفائدتها : تخليص الناس من هذا الموقف ، وذلك أنّ الناس إذا ضاق بهم الموقف
وطال وقوفهم للقضاء والحساب وأنجمهم العرق التمسوا الشفاعة في أن يفصل الله
بينهم ، كما ورد في الصحيحين في حديث الشفاعة الطويل ، عندما يأتون إلى آدم ،
ثم نوح ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، وكلهم يقولون نفسي نفسي ، إلى أن
يتنّهوا إلى رسول الهدى ، عليه الصلاة والسلام ، فيقول : أنا لها ، ثم أخبر أنه يأتي
فيسجد تحت العرش ، ويحمد ربه بمحامد يعلمه إياها ، ولا يبدأ بالشفاعة أوّلاً ، =

= حتى يُقال له : ارفع رأسك ، وقُلْ يُسمع ، وسل تُعطَ ، واشفع تُشَفَّع ، وقد جاء في الحديث أنه لا يشفع في جميع العصاة من أهل التوحيد دفعة واحدة ، بل قال : « فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة » . ثم يرجع فيسجد كذلك فيحد له حدًا ، إلى آخر ما جاء في هذا الحديث العظيم .

النوع الثاني : من أنواع الشفاعة المثبتة : الشفاعة في استفتاح باب الجنة ، فأوّل ما يستفتح باب الجنة بنبيّنا محمد ، ﷺ ، وأوّل من يدخلها من الأمم أمّته ، نسأل الله من فضله هذه المنزلة .

والنوع الثالث : الشفاعة في أقوام أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها .

النوع الرابع : الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة .

النوع الخامس : شفاعته ، ﷺ ، في أقوامٍ تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة .

النوع السادس : الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، كما ورد في حديث عكاشة بن مُحصن في الصحيحين

النوع السابع : الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفّار ، وهذه خاصّة لنبيّنا ، ﷺ ، في عمّه أبي طالب ، وقد قال القرطبي : فإن قيل : فقد قال - تعالى - : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشّافِعِينَ ﴾ . قيل له : لا تنفعه في الخروج من النار ، كما تنفع عصاة الموحدين الذين يُخْرِجُونَ منها وَيُدْخِلُونَ الجنة » اهـ . التذكرة ١ / ٢٤٩ .

النوع الثامن : شفاعته في أهل الكبائر من أمّته ممّن يدخلون النار ، فيخرجون منها .

وهذا النوع الذي طال فيه الخلاف ، بين أهل السنة ، والخوارج والمعتزلة من جهة أخرى ، فأهل السنة أصحاب الحق يقولون : بأنّ بعض أهل التوحيد من أهل الكبائر والعصاة ، يدخلون النار ، ويعذبون فيها ، ثم يُخرجون إمّا برحمة الله ، أو بشفاعة الشافعين ، قال ، ﷺ ، في حديث أنس : « شفّعتي لأهل الكبائر من أمّتي » . أخرجه أحمد وغيره بإسناد صحيح .

قال الإمام حافظ الحكمي : « فهذه الشفاعة حقٌّ يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - ودرج على الإيمان بذلك التّابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ، ورضوا عنه ، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج ، =

والفرقة^(١) الناجية، وإن كانت مفتقرة إلى رحمة الله، لكنها باعتبار ظاهر أعمالها يحكم لها بالنجاة لإتيانها بما أمرت به، وانتهائها عما نهيت عنه.

= وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة، وقالوا: بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله، ﷺ، وقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجون البيت الحرام، ويسألون الله الجنة، ويستعيذون به من النار، في كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماثوا مُصرِّين على معصية عملية عالين بتحريمها، معتقدين مؤمنين بما جاء فيه الوعيد الشديد، فقصوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فاجحدوا قول الله — عز وجل —: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾، وقول الله — عز وجل —: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وقوله — تعالى —: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. وغيرها من الآيات، وسائر الأحاديث الواردة اهـ. ٨٩٦/٢. والدليل على ما ذكر الصنعاني بقوله: «ولا يُنافي ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر من رحمة الله لها، وشفاعه نبيها، وشفاعة صالحها لطالحيها».

ما أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ١٨٣ في الحديث الطويل، عن أبي سعيد — رضي الله عنه — مرفوعاً، قال: فيقول الله — عز وجل —: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبُضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيَخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطْ الحديث.

وقد أطلت في هذا الموضع نظراً للحاجة إليه، وللحافظ ابن كثير كلام نفيس في نهاية البداية في أمر الشفاعة ١٦٩/٢ إلى ٢١٣، والإمام ابن أبي العز فصل في المسألة في شرحه للعقيدة الطحاوية ٢٨٢/١ إلى ٣٠٢، ولفضيلة الشيخ مقبل الوادعي رسالة مستقلة بعنوان الشفاعه، وهي مفيدة . .

(١) في ب: «إذا الفرقة».

*** وثالثها:** أن ذلك الحكم مشروطٌ بعدم عقابها في الدنيا، وقد دلَّ على عقابها في الدنيا.

حديث: «أمّتي هذه أمةٌ مرحومة، ليسَ عليها عذابٌ في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا، الفتنُ، والزلازلُ، والقتلُ، والبلايا».

أخرجه الطبراني في الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي موسى^(١).

فيكون حديث الافتراق مقيداً بهذا الحديث، في قوله: «كلها هالكة» ما لم تُعاقب في الدنيا. لكنّها تُعاقب في الدنيا^(٢) فليست بهالكة.

*** ورابعها:** أن الإشكال في حديث الافتراق إنّما نشأ من جعل القضية الحاكمة به وبالهلاك دائمة.

بمعنى أن الافتراق في الأمة، وهلاك من يهلك منها دائماً مستمراً، من زمن تكلمه^(٣)، ﷺ، بهذه الجملة إلى قيام الساعة.

وبذلك تتحقق أكثرية الهالكين وأقلية الناجين فيتم الإشكال.

(١) هذا الحديث سبق تخريجه بتوسع ص ٥٧ لكن قول المصنّف: «أخرجه... والبيهقي في شعب الإيمان...» لم أجد في الشعب هذا الحديث على حدّ ما بذلت من جهد!؟ لكن الذي عثرت عليه، أن الإمام السيوطي في الجامع الصغير ١٨٥/٢ عزاه للبيهقي في شعب الإيمان. والبيهقي أخرج حديث أبي موسى في الآداب رقم ٨٩٧ كما مرّ ذلك.

(٢) في ب: «... تعاقب فيها فليست».

(٣) في ب: «من زمن تكلم النبي، ﷺ».

والحق أن القضية حينية ، يعني أن ثبوت الافتراق للأمة والهلاك لمن يهلك ، ثابت في حين من الأحيان ، وزمن من الأزمان .

يدل على أن المراد ذلك وجوه :

* الأول : قوله : « ستفترق » ، ^(١) الدال ^(٢) على الاستقبال لتحلية المضارع بالسّين .

* الثاني : قوله ^(٣) : « ليأتين على أمتي » فإنه إخبارٌ بأمرٍ مستقبلي .

* الثالث : قوله ^(٤) : « ما أنا عليه وأصحابي » ^(٥) فإن أصحابه من

(١) في ب : « ستفترق أمتي » .

(٢) في ب : « الدالة » .

(٣) في ب : « قوله ﷺ » .

(٤) في ب : « قوله ، ﷺ » .

(٥) الصحابي مشتق من الصُّحبة ، قال في المصباح المنير : « صحبته فأنا صاحب ، والجمع صُحُب ، وصحابه » .

وتعريف الصحابي عند المحققين من المحدثين هو من لقي النبي ، ﷺ ، مؤمناً به ، ومات على ذلك ، وهذا ما ذهب إليه العرافي ، وابن حجر ، وهو التعريف الصحيح . والصحابة طبقات ، فهناك السابقون إلى الإسلام الذين طالت صُحُبُهُم للرسول ، ﷺ ، وهناك المهاجرة ، وهناك من رآه في حجة الوداع ، إلى غير ذلك ، وقد جعلهم ابن سعد خمس طبقات ، والمشهور ما ذهب إليه الحاكم فقد جعلهم اثنتي عشرة طبقة انظر : معرفة علوم الحديث ص ٢٢ ، ٢٤ . وتدريب الراوي ص ٤٠٧ ، واختصار علوم الحديث لابن كثير ١٧٤ فما بعد .

تنبيه مهم : شاع بين طلبة العلم أن كتاب ابن كثير اسمه : « الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، وهذه التسمية على حد ما بحثت ليست من وضع ابن كثير ، إنما الذي أظنه أن أحمد شاكر - يرحمه الله - اعتنى بكتاب ابن كثير ، وقام =

مسمًى أمته بلا خلاف .

وقد حكم عليهم بأنهم أمة واحدة ، وأنهم الناجون ، وأن من كان على ما هم عليه ، هم الناجون .

فلو جعلنا القضية دائمة من حين التكلّم بها ، للزم أن تكون تلك الفرق كائنة في أصحابه ، ﷺ ، وهلمّ جرا .

وقد صرح الحديث نفسه^(١) بخلاف ذلك ، فإذا ظهر لك أن الحكم بالافتراق والهلاك إنما هو في حين من الأحيان وزمن من الأزمان ، لم يلزم أكثرية الهلاك ، وأقلية الناجين ، وهذا الجواب بحمد الله والذي قبله جيده ! لا غبار عليها^(٢) .

= بوضع تعليقات وحواشي ، وطبع الكتاب باسم الباعث
وقد ذكر بروكلمان في ذيل : « تاريخ الأدب » ٢ / ٤٩ ! كتاب الباعث الحثيث على معرفة علوم الحديث ، ونسبه لابن كثير وأشار لوجود مخطوطتين في الهند ، واحدة في آصاف . والثانية في رامبور ؟ ! ولم أر من ذكر ذلك غيره ، والذي أكد الأمر عندي ، أن العلامة أحمد شاكر نفسه ، ذكر في طبعة من طبعات الكتاب وهي طبعة مؤسسة الكتب الثقافية . قال - يرحمه الله - : « ثم رأيت أن أصل كتاب ابن كثير عرف باسم : (اختصار علوم الحديث) ، وأن الأخ العلامة الشيخ عبدالرزاق حمزة جعل له عنواناً آخر في طبعته الأولى بمكة (فسماه : اختصار علوم الحديث ، أو الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث ثم اشتهر الكتاب بين أهل العلم باسم (الباعث الحثيث) ، وليس هذا اسم كتاب ابن كثير ، . . . » إلخ .

(١) لفظة : « نفسه » ليست في ب .

(٢) في ب : « وهذا الجواب جيد - بحمد الله - لا غبار عليه » . قلت : ولو قيل : « جيدان » لكان أفضل .

إن قلت : يجوز أن يكونَ زمن الافتراق أطول من زمن خلافه .

فيكون أهله أكثر، فيكون الهالكون أكثر من الناجين .

قلت : أحاديث سعة الرحمة ، وأكثرية الدّاخلين من هذه الأمة إلى الجنّة ، قد دلّت على أنّ الهالكين أقلّ .

وذلك لِقَصْر حينهم المتفرّع عليه قتلهم بالنسبة إلى أزمنة خلافه المتطاولة^(١) .

وكلام رسول الله^(٢) ، ﷺ ، لا يأتيه التناقض من بين يديه ولا من خلفه ، فلا بد^(٣) من الجمع بين ما يؤهم التناقض ، وقد تمّ الجمع بهذا الوجه وما قبله فتعيّن المصير إليها .

هذا ولا يبعد أنّ ذلك الحين والزّمان هو آخر الدهر^(٤) الذي وردت الأحاديث بفساده ، وفشو الباطل فيه ، وخفاء الحقّ ، وأنّ القابض فيه على دينه كالقابض على الجمرة .

وأنّ الزّمان الذي يُصبح فيه الرّجل مؤمناً ويمسي كافراً ، وأنّ زمان غربة الدّين .

(١) في ب « المتطاولين » .

(٢) في ب : « وكلام الرسول ، ﷺ » .

(٣) في ب : « ولا بد » .

(٤) حصر التفرّق والاختلاف في آخر الزّمان ، لا يُسلم به ، ولو قلنا بذلك لحكمنا بالتالي للخوارج ، والرافضة ، والقدرية والمعتزلة ، والجهمية ، وأهل البدع ، والأهواء ، وسائر فرق وطوائف الضلال بالنّجاة والسلامة .

فتلك الأحاديث الواردة فيه ، التي سُحِنت بها كتب السنة قرائن دالة على أنه زمان كثرة الهالكين ، وزمان^(١) التفرق والتدابير^(٢) .

(١) في ب « زمن » .

(٢) من هذه الأحاديث ، ما أخرجه البخاري في كتاب الفتن ، باب إذا بقي في حثالة من الناس ٦٦٧٥ ، ومسلم في الإمامة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، وفي كل حال ١٨٤٧ ، - واللفظ للبخاري - عن حذيفة قال : حدثنا رسول الله ، ﷺ ، حديثين ، رأيْتُ أحدهما وأنا أنتظرُ الآخر ، حدثنا : « أَنَّ الأمانةَ نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ » ، وحدثنا عن رفعها قال : « ينام الرجلُ النُّومةَ فتقبضُ الأمانةُ مِنْ قلبه ، فيظُلُّ أثرُها مِثْلَ الوُكْتِ ، ثُمَّ ينامُ النُّومةَ فتقبضُ فيبقى فيها أثرُها مِثْلَ أثرِ المجل ، كجمرٍ دحرجته على رجلِكَ فنقط ، فتراهُ مُتَبَرِّأً وليس فيه شيءٌ ، ويصبحُ النَّاسُ يتبايعُونَ ، فلا يكادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأمانةَ ، فيقالُ : إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا ، ويقالُ لِلرَّجُلِ : مَا أَغْقَلَهُ ، وما أَظْرَفَهُ ، وما أَجْلَدَهُ ، وما في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ خردلٍ مِنْ إيمانٍ » .

* وما أخرج الترمذي في الفتن ٧٣ ، من حديث أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، الصَّابِرُ فِيهِ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ » . والحديث حسن بشواهد .

* وما أخرجه أبو داود في الفتن ٤٢٥٩ - ٤٢٦٢ ، والترمذي في الفتن ٢٢٠٥ ، وابن ماجه في الفتن ٣٩٦١ ، من حديث أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « إِنْ بَيْنَ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ » . الحديث ، وهو صحيح .

* وما أخرجه ابن ماجه في الفتن ، باب الثبوت في الفتن ٣٩٥٧ وغيره بإسناد صحيح ، من حديث عبدالله بن عمرو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، ﷺ ، قال : « كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ ، يُغْرِبُ النَّاسَ فِيهِ غَرْبَلَةٌ ، وَتَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ ، وَقَدْ مَرَجَتْ عُھُودُهُمْ ، وَأَمَانَاتُهُمْ فَاخْتَلَفُوا » . الحديث . =

[ويحتمل - أيضاً - أن الافتراق كان من بعد القرون المشهود لها بالخيرية. وأن في كل قرن بعدها فرق من الهالكة، وأكثرها في آخر الزمان. وهذا جوابٌ جيد استقلَّ عن الإشكال^(١).

الجهة الثانية :

من جهتي الإشكال في تعيين الفرقة الناجية، فقد تكلم الناس فيها.

= * وما أخرج مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً، وأَنَّهُ يَأْرَزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ ١٤٥، وغيره من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «بدأ الإسلام غريباً، وسيعودُ - كما بدأ - غريباً، فطوبى للغرباء».

* وما أخرج ابن ماجه في كتاب الفتن، باب شدة الزمان ٤٠٣٦ والإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٩١، وغيرهما بسند حسن، من حديث أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : «سيأتي على الناس سنواتٌ خداعاتٌ، يُصدَّقُ فيها الكاذبُ، ويكذَّبُ فيها الصادقُ، ويُؤتمنُ فيها الخائنُ، ويخونُ فيها الأمينُ، وينطقُ فيها الرُّويضةُ!» قيل : وما الرُّويضةُ؟ فقال : «الرجلُ النافه يتكلَّمُ في أمر العامة».

وما أخرج ابن ماجه، في كتاب الفتن، باب شدة الزمان ٤٠٣٧، والامام أحمد في المسند ٢/ ٥٣٠، وغيرهما بسند صحيح، من حديث أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ، فيتمرَّغ عليه، ويقول : يا ليتني كنتُ مكانَ صاحب هذا القبر، وليس به الدِّينُ إلَّا البلاء».

ومن ذلك حديث حذيفة المشهور في الدعاة الذين على أبواب جهنم وهو حديث متفق عليه. وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا الشأن، ولو سقناها لطلابنا الكلام وقد ذكرنا بعض الأمثلة استشهاداً لما أشار إليه المصنّف.

(١) ما بين الحاصرتين ليس في نسخة ب.

كل فرقة ^(١) تزعم أنها هي الفرقة الناجية ، ثم قد تُقيم بعض الفرق على دعواها ، برهاناً أوهى من بيت العنكبوت ^(٢) .

ومنهم : من يشتغل بتعداد الفرق المخالفة لما هو عليه ^(٣) ، ويعمد إلى ما شذت ^(٤) به تلك ^(٥) من الأقوال ، فينقله عنها ليبين بذلك ^(٦) أنها هالكة ، لاعتمادها على تلك الأقوال ، وأنه ناج بخلوصه عنها .

ولو فُتس ما انطوى عليه ، لَوُجِدَ عنده من المقالات ما هو أشنع من مقالات من خالفه ^(٧) .

(١) في ب : « فكل طائفة » .

(٢) في ب : « بعض الطوائف برهاناً على مدعاة أوهى من بيت العنكبوت » .

(٣) الذين كتبوا وصنّفوا في الفرق ، عمد أكثرهم إلى محاولة تقسيم الفرق وتعدادها ، بل والتكلف في حصر الفرق لتصل إلى العدد الوارد في حديث الافتراق ، وهذا الصنيع لا يمكن أن يضبطه ضابط ! ففي كل عصر تنشأ فرق لم تكن معروفة من قبل مختلفة ومتعددة المشارب ، إذن من صنّف في تعداد الفرق سيجد صعوبة وعقبات إذا عَلمَ أنه خرجت بعض الفرق في مكان آخر! ؟ والتفرق ما زال يتشعب ويتعدّد من زمن إلى آخر ، ولو كانت الأمة ستنتهي إذا كُتِبَ مُصنّفٌ فيها بتعداد فرقها ليتوافق مع الحديث لما عيبَ ذلك ، ولكن هذا أمرٌ لا يمكن أن يقوله عاقل ، فعَلمَ من ذلك أنّ هذا المسلك فيه ما فيه من التكلف والتعسف ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في المقدمة .

(٤) في ب : « ويعمد إلى ما شُرِبَ » .

(٥) « تلك » ليست في ب .

(٦) في ب : « ليبين قوله » .

(٧) هذا كلامٌ جيد من المصنّف - يرحمه الله - ، ولقد ادّعت بعض الفرق والطوائف الضلالة أنها هي الفرقة الناجية ، بل وتزيد في الضلال بأنّهم لأهل السنة بأنهم من الفرق الهالكة والمنحرفة فإله المستعان .

لكن عين المرء قليلة عن عيب نفسه .

وبالجملة :

فكُلُّ يَدْعِي وَصُلًّا لِلْيَلِي وَلِيْلِي لَا تَقْرُ لَهُمْ بِذَاكَ

وكان الأحسنُ بالنَّظَرِ في الحديثِ أن يكتفي بالتفسير النبوي لتلك
الفرقة .

فقد كفاه ، ﷺ ، معلّم الشرائع الهادي إلى كل خير ، ﷺ ، المؤنة ،
وعين له الفرقة الناجية ، بأنها : من كان على ما هو ، ﷺ ، وأصحابه ، وقد
عرف - بحمد الله - من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي ، ﷺ ،
وأصحابه .

ونقل إلينا أقوالهم وأفعالهم ، حتى أكلهم وشربهم ونومهم
ويقظتهم^(١) ، حتى كأننا رأيناهم رأي عين .

وبعد ذلك فَمَنْ رزقه الله إنصافاً من نفسه ، وجعله من أولي الألباب
لا يخفاه^(٢) حال نفسه أولاً .

هل هو متبع لما كان عليه النبي ، ﷺ ، وأصحابه أو غير متبع؟
ثم لا يخفى^(٣) حال غيره من كل طائفة ، هل هي متبعة أو مبتدعة؟

(١) في ب : «نومهم ويقظتهم وأكلهم وشربهم» .

(٢) في ب : «لأعناه» .

(٣) في ب : «لأعناه» .

ومن ادّعى أنّه متّبع للسنة النبوية متقيّد بها يُصدّق دعواه أقواله وأفعاله أو تكذيبها، فإنّ ما كان عليه ، ﷺ ، قد ظهر [بحمد الله] ^(١) لكلّ إنسان ، فلا يمكن التباس المبتدع بالمتّبع ^(٢) .

وعندي على تقرير ذلك الجواب ، وأن زمنَ الافتراق [والهلاك] ^(٣) هو آخر الزمان ^(٤) ، [و] ^(٥) أنّه لا بُعد في أنّ الفرقة النّاجية هم الغرباء ، المشار إليهم في الحديث . كحديث : «بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً ، فَطُوبَى ^(٦) للغرباء» . قيل : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : «الذين يُصلحون إذا فسد النَّاسُ» .

وفي رواية : «الَّذِينَ يَفْرَوْنَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ» .

وفي رواية : «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي» .

وفي حديث عبد الله بن عمرو : قلنا : مَنْ الغرباء يا رسول الله ؟ قال :

(١) ليست في ب .

(٢) في ب : «المتّبع بالمبتدع» .

(٣) ليست في ب .

(٤) سبق وأنّ نبّهنا في موضع سابق ، أنّ حصر التّفريق في آخر الزمان ليس بصحيح ! فالتّفريق بدأ منذ زمن طويل ، والقول بأنّ التّفريق يكون في آخر الزمان ذريعة إلى احتجاج الفرق الضالة أنها ناجية ! ؟ فليُتَبَهِ لذلك جيداً !

(٥) الواو ليست في ب .

(٦) في ب : «وطوبى» .

«قَوْمٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ ، فِي نَاسٍ شُوءٍ كَثِيرٍ ، مِنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»^(١) .

(١) حديث : «غربة الإسلام» ، من الأحاديث الصحيحة المتواترة . وقد عده من المتواترة الحافظ السيوطي في التدريب ١٨٠ / ٢ والكتاني في نظم المتناثر . وللحديث طرق كثيرة ، وألفاظ متقاربة ، وكنت قد جمعت طرق هذا الحديث وأطلت في ذلك ، لكن رأيت أن الحواشي ستثقل وتطول ، فاكثفت بتخريج الروايات التي ذكرها المصنف . في تفسير الغرباء؟ وهي أربع روايات .
* التفسير الأول : «الذين يُضْلِحُونَ إذا فسدَ الناس» .

ورد في حديث عبد الرحمن بن سنَّة ، أنه سمع النبي ﷺ ، يقول : «بدأ الإسلام غريباً ، ثمَّ يعودُ غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء» . قيل : يا رسول الله ، ومن الغرباء؟ قال : «الذين يُضْلِحُونَ إذا فسدَ الناس» ، والذي نفسي بيده لِيَتَحَازَنَ الإيمانُ إلى المدينة كما يجوزُ السَّيْلُ ، والذي نفسي بيده لِيَأْرِزَنَّ الإسلامُ إلى ما بينَ المسجدين ، كما تَأْرِزُ الحَيَّةُ إلى جُحْرِهَا» . أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في الزوائد ٧٣ / ٤ ، ٧٤ . وابن عدي في الكامل ١٦١٥ / ٤ ، وابن وَضَّاح في البدع والنهي عنها ، باب في نقض عُرى الإسلام ص ٦٥ ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٨٣ / ٢ ، كلهم من طريق إسماعيل بن عياش ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن يوسف بن سليمان ، عن جدته ميمونة ، عن عبد الرحمن ابن سنَّة ، به .
وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن ٤٩١ / ٢ ، ٤٩٢ ، من الطريق نفسه ، ولكن بلفظ «والذي نفسي بيده . . .» ولفظه طويل مختلف عن الرواية السابقة ، وليس فيه الشطر الأول : «بدأ الإسلام . . .» .

وإسماعيل بن عياش هو ابن سليم ، العنسي ، أبو عتبة الحمصي إذا حَدَّثَ عن الشاميين فحديثه عنهم جيد ، وإذا حَدَّثَ عن غيرهم فحديثه مضطرب . وحديثه هذا عن مدني . وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، أبو سليمان المدني ، متروك ، نهى الإمام أحمد عن حديثه ، كما في بحر الدم ، وقال الجوزجاني : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لا تحلَّ الرواية عندي عن إسحاق بن أبي فروة . اهـ . وقال ابن حجر : متروك .

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٧٨ بعد إيراده لهذا الحديث : «رواه عبد الله ، والطبراني ، وفيه إسحاق بن عبد الله ابن أبي فروة ، وهو متروك» .

وهناك علةٌ ثالثةٌ لهذا الحديث وهي أنَّ يوسف بن سليمان وجدته ميمونة مجهولان؟! وأشار إلى نحو هذا الهيثمي في مجمع الزوائد .

* وورد من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي ، ﷺ ، قال : «الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء» ؟ قالوا : يا رسول الله : وما الغرباء ؟ قال : «الذين يُصلحون عند فساد الناس» . أخرجه ابن عدي في الكامل ٢/ ٢٩ ، واللائكائي في شرح الاعتقاد ١/ ١١٢ ، من طريق بكر بن سليم ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، به . وبكر بن سليمان هو أبو سليمان الصَّوَّاف ، الطَّائفي المدني . قال ابن عدي : «يُحدِّث عن أبي حازم عن سهل بن سعد ، وعن غيره ، ما لا يوافقه أحدٌ عليه» .

قال ابن عدي : «وعامة ما يرويه غير محفوظ ، ولا يتابع عليه ، وهو من جملة الضُّعفاء الذين يكتب حديثهم» .

وقال أبو حاتم : «شيخ يُكتب حديثه» . وذكره ابن حبان في ثقاته .

وقال الذهبي في الكاشف : صدوق .

وقال في المغني : وهو ضعيف .

وقال ابن حجر : مقبول .

* وورد الحديث من رواية سهل بن سعد الساعدي . عن النبي ، ﷺ ، قال : «إنَّ الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء» فقالوا : يا رسول الله من الغرباء ؟ قال : «الذين يصلحون عند فساد الناس» . أخرجه الدولابي في الكُنَى ١/ ١٩٣ ، والطبراني في الكبير ٦/ ٢٠٢ ، وفي الصغير ١/ ١٠٤ . وابن عدي في الكامل ٢/ ٢٩ ، والقضاعي في الشهاب ٢/ ١٣٩ . من طريق بكر بن سليم الصَّوَّاف ، عن أبي حازم ، عن سهل ، به .

والكلام في هذا الطريق كالذي قبله .

وقد تابع بكر بن سليم على روايته أبو صخر حميد بن زياد ، كما في جزء أحاديث نافع ابن أبي نُعيم للحافظ أبي بكر محمد بن إبراهيم المقرئ رقم ٢٠ بلفظ : =

= «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ».

وأبو صخر حميد الخراط ، قال عنه الإمام أحمد : ليس به بأس ، وثقه الدارقطني وقال ابن حجر صدوق .

* وورد من رواية جابر بن عبدالله ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» . قلنا : من هم يا رسول الله ؟ قال : «الذين يصلحون حين يفسد الناس» . أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١١٢ . والبيهقي في الزهد الكبير ٢٠٠ ، وغيرهما . من طريق عبدالله بن صالح ، عن الليث ، عن يحيى بن سعيد ، عن خالد بن أبي عمران ، عن أبي عياش ، عن جابر به .

وعبدالله بن صالح ، هو ابن محمد بن مسلم الجهني ، كاتب الليث ، قال أحمد : كان أول أمره متمسكاً ، ثم فسد بآخره ، وليس هو بشيء ، وقال عبدالمك بن شعيب بن الليث : ثقة مأمون ، سمع من جدي حديثه . وقال ابن حجر : صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكانت فيه غفلة أما أبو عياش فمجهول الحال ، والحديث ضعيف لأجله .

* وورد من رواية عمرو بن عوف ، أن رسول الله ﷺ ، قال : «إِنَّ الدِّينَ لَيَأْرُزُ إِلَى الْحِجَازِ كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا، وَلَيَعْقِلَنَّ الدِّينَ مِنَ الْحِجَازِ مَعْقِلَ الْأُرْوَةِ، مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ، إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَيَرْجِعُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُصَلِّحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي» . أخرجه يعقوب في المعرفة ١/ ٣٥٠ ، الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً ٢٦٣٠ ، والطبراني في الكبير ١٦/ ١٧ ، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٠٨٠ ، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص ٢٣ ، وفي الجامع ١/ ١١٢ من طريق إسماعيل بن أبي أوس ، عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه ، عن جده ، به . وإسناده ضعيف جداً لحال كثير بن عبدالله المزني ، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ١٠ .

قال الدارقطني والنسائي : متروك الحديث .

وقال ابن عبد الهادي في بحر الدم : ضرب أحمد على حديثه ولم يروه ، وقال : ليس

بشيء .

= وقال يحيى : ضعيف الحديث .

وقال أبو داود : كذاب .

وقال الشافعي : من أركان الكذب .

وقال أبو حاتم : ليس بالمتين .

وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه .

وقال الذهبي : متروك .

* ورد من رواية أبي الدرداء ، وأبي أمامة ، ووائله ، وأنس رضي الله عنهم ، قالوا : خرج علينا رسول الله ، ﷺ ، فقال : « إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ » . قالوا : يا رسول الله : ومن الغرباء ؟ قال : « الَّذِينَ يَصْلَحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ ، وَلَا يُمَارُونَ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَلَا يُكْفِرُونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ بِذَنْبٍ » . أخرجه الطبراني في الكبير ٨ / ١٧٨ - ١٧٩ ، والأجري في الغرباء رقم ٥ . والخطيب في تاريخه ١٢ / ٤٨١ ، وغيرهم .

من طريق كثير بن مروان عن عبد الله بن يزيد ، عن أبي الدرداء وأبي أمامة ، ووائله ، وأنس ، به . ومدار الحديث على كثير بن مروان الشامي .

قال ابن معين : ضعيف .

قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يُحتج به .

وقال ابن حبان : منكر الحديث جدًا .

وقال ابن الجني : ليس بالقوي .

وقال ابن حجر : ضعفه .

* ورد من رواية ابن مسعود ، عن النبي ، ﷺ ، قال : « إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ » . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « الَّذِينَ يَصْلَحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ » . أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن ١ / ٢٥ عن محمد بن آدم المصيصي ، حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله يعني ابن مسعود مرفوعاً . كما أورد ذلك محدث الشام الألباني - حفظه المولى - في السلسلة ٣ / ٢٦٧ ، ٢٦٨ وقال : هذا سند صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح ، غير محمد بن آدم المصيصي وهو ثقة ، كما =

= قال النسائي وغيره . اهـ .

قلت : والحديث بهذا التفسير ، بمجموعه يرتقى لمرتبة الحسن ، خصوصاً وأن الشواهد كثيرة .

التفسير الثاني : «الذين يفرون بدينهم من الفتن» . لم أعثر على هذا اللفظ الذي أورده المصنف على قدر ما بحثت ، والذي وجدته ما ورد من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «أحبُّ شيءٍ إلى الله الغرباء» قيل : ومن الغرباء؟ قال : «الفرَّارون بدينهم ، يبعثهم الله - عز وجل - إلى يوم القيامة مع عيسى بن مريم ، عليه السلام» . أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد ١٤٩ ، ومن طريقه أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٢٥ ، والبيهقي في الزهد الكبير .

من طريق سفيان بن وكيع ، عن عبدالله بن رجاء ، عن ابن جريج عن أبي مليكة ، عن عبدالله بن عمرو ، به . وسفيان بن وكيع الجراح ، قال عنه ابن حجر : كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقة ، فأدخل عليه ما ليس من حديثه ، فنُصح فلم يقبل فسقط حديثه اهـ . وابن جريج ، هو عبدالملك بن عبدالعزيز ، ثقة ، لكنه مدلس ويرسل . قال الدارقطني : شرّ التدليس ، تدليس ابن جريج ، فإنه قبيح التدليس ، لا يدلّس إلا فيما سمعه من مجروح ، مثل إبراهيم بن أبي يحيى ، وموسى بن عبيدة ، وغيرهما . اهـ .

والتفسير الثالث : «الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي» . سبق تخريج ذلك ، وقد ورد هذا التفسير للغرباء من حديث عمرو بن عوف ، وفي سنده كثير بن عبدالله المزني وهو متروك .

التفسير الرابع : للغرباء كما أورده المصنف : «قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممّن يطيعهم» من حديث عبدالله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ، ﷺ ، ذات يوم ونحن عنده : «طوبى للغرباء» ، قيل : ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال : «ناسٌ صالحون قليلٌ في ناسٍ سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممّن يطيعهم» .

أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٧٧ / ٢ - ٢٢٢ ، والأجري في الغرباء ٦ / ٢٥ ، وعبدالله بن المبارك في الزهد ٧٧٥ ، والبيهقي في الزهد ٢٠٥ ، والفسوي في =

وهم المرادون بحديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق، لا يضرهم من خالفهم، أو خذلهم، حتى يأتي أمر الله»^(١).

= المعرفة والتاريخ ٥١٧/٢. من طريق عبدالله بن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن جندب بن عبدالله، أنه سمع سفيان بن عوف القاري يقول: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص به. وعبدالله بن لهيعة، ضعيف باستثناء ما رواه عنه العبادلة، وهم: «عبدالله ابن المبارك، وعبدالله بن مسلمة القعنبي، وعبدالله بن يزيد المقري، وعبدالله بن وهب».

ومن الذين رووا عن ابن لهيعة، هذه الرواية، ابن المبارك كما مر معنا، وغيره، وجندب بن عبدالله الوالبي، كوفي، وقد وثقه العجلي في تاريخه. وذكره الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة، بتوثيق العجلي، وذكره - أيضاً - الحافظ العراقي في ذيل الكاشف، مثله، ولعل هذه الرواية تصل لمرتبة الحسن والله تعالى أعلم.

هذا ولهذا الحديث كما قلنا روايات أخرى وشواهد، وقد استوعبها في الغالب الشيخ عبدالله بن يوسف الجديع - وفقه الله - في رسالته كشف اللثام، وكذا الداعية الشيخ سلمان بن فهد العودة - حفظه الله - في رسالته الغرباء الأولون، وقد استفدت من الرسالتين كثيراً. والمحدث الألباني في السلسلة له بحث لطيف. وللحافظ ابن رجب شرح لطيف لهذا الحديث في رسالة «كشف الكربة في وصف حال الغربة». وعقد الإمام الجبل العَلَم ابن قيم الجوزية فصلاً فريداً في أمر الغربة، وذلك في كتابه الحافل بالعلم والفوائد الجمّة مدارج السالكين ١٩٤/٣، ويحسن الرجوع إليه للفائدة.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله، ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق» ١٧٠ وأبو داود في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها ٤٢٥٢، وفي لفظه زيادة. والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأئمة المضلين ٢٢٢٩، وابن ماجه في مقدمته، باب اتباع سنة رسول الله، ﷺ، ١٠ وأحمد في المسند ٢٧٨/٥. وأبو نعيم في الحلية ٥٨٩/٢.

والبيهقي في الدلائل ٥٢٧/٦، ولفظه طويل. وغيرهم، من حديث ثوبان. =

وهم المرادون بما أخرجه الطبراني ، وغيره عن أبي أمامة عن النبي ، ﷺ ، أنه قال : « إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ إِقْبَالَ وَإِدْبَارًا ^(١) » ، وإن لهذا الدين إقبالاً وإدباراً ، وإنَّ من إدبار ^(٢) الدين ، ما كُنْتُمْ عَلَيْهِ من العمى والجهالة ، وما بعثني الله به . وإنَّ من إقبال الدين أن تَفْقَهَ القبيلة بأسرها حتَّى لا يوجد فيها إلَّا الفاسق والفاسقان ، فهما مقهوران ذليلان ، إن تكلَّما قَهْراً وقُمِعا واضطُهدا ^(٣) . وإنَّ من إدبار الدِّين أن تَجْفُو القبيلةُ بِأَسْرِهَا حتَّى لا يكون ^(٤) فيها إلَّا الفقيه والفقيهان ، وهما مقهوران ذليلان ، إن تكلَّما فأمراً بالمعروف ونَهياً عن المنكر قُمِعا ، وقَهْراً ، واضطُهدا ، فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعواناً ولا أنصاراً ^(٥) .

-
- = والحديث ورد من طريق المغيرة بن شعبة أخرجه الشيخان وغيرهما .
ورود من حديث معاوية ، أخرجه الشيخان وغيرهما . وورد من حديث جابر بن عبد الله ، أخرجه مسلم وغيره .
ومن حديث سعد بن أبي وقاص ، وحديث زيد بن أرقم ، وحديث عمران بن حصين ، وقرة بن إياس المزني ، وأبي هريرة ، وأبي أمامة ، وغيرهم .
والحديث متواتر ، وقد ذكره السيوطي في قطف الأزهار . والكتاني في نظم المتناثر .
- (١) في ب : « لكل شيء إقبالاً وإدباراً » . وهو خطأ .
(٢) في ب : « إقبال » .
(٣) في ب : « قمعاً وقهراً واضطهداً » .
(٤) في ب : « لأيرى » .
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣٤ / ٨ - ٢٥٤ ، قال : حدثنا محمد بن العباس المؤدب ، ثنا داود بن مهران الدباغ ، ثنا المُشَمِّعِلُ بن ملحان ، عن مُطَرِّج بن يزيد ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « إِنَّ لهذا الدين إقبالاً وإدباراً ، ألا وإن من إقبال هذا الدين أن تَفْقَهَ القبيلة بأسرها ، حتَّى =

لا يبقى إلا الفاسق والفاسقان، ذليلان فيها إن تكلمتا قهراً واضطهدا، وإن من إدبار هذا الدين، أن تجفوا القبيلة بأسرها، فلا يبقى إلا الفقيه والفقهاء، فهما ذليلان، إن تكلمتا قهراً واضطهدا، ويلعن آخر هذه الأمة أولها، ألا وعليهم حلت اللعنة حتى يشربوا الخمر علانية، حتى تمر المرأة بالقوم فيقوم إليها بعضهم فيرفع بذيلها كما يرفع بذنب النعجة، فقاتل يقول يومئذ: ألا وارا منها وراء الحائط، فهو يومئذ فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم، فمن أمر يومئذ بالمعروف ونهى عن المنكر فله أجر خمسين ممن رأني وآمن بي وأطاعني وتابعتني». والمُشمعل بن ملحان، هو أبو عبد الله الكوفي، الطائفي القيسي نزيل بغداد.

ذكره ابن حبان في ثقافته، وقال أبو زرعة: كوفي لين، إلى الصدوق ماهو. وضعفه الدارقطني.

وقال ابن معين: ما أرى كان به بأس.

وقال ابن حجر: صدوق يخطيء أ هـ. ومطرح بن يزيد هو أبو المهلب الكوفي.

قال ابن معين: ليس بشيء.

وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث.

وقال أبو حاتم: ليس بقوي، ضعيف الحديث.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال الذهبي: مجمع على ضعفه.

وقال ابن حجر: ضعيف أ هـ. وعلي بن يزيد، هو أبو عبد الملك بن أبي هلال الألهاني الدمشقي.

قال ابن معين: علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة هي ضعاف كلها.

وقال يعقوب: واهي الحديث، كثير المنكرات.

وقال أبو زرعة: ليس بالقوي.

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عن علي بن يزيد؟ فقال: ضعيف الحديث، أحاديثه منكورة.

وقال البخاري: منكر الحديث، ضعيف.

وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث.

= وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال في موضع : متروك الحديث .
فهذا إسناد ضعيفٌ جداً .

قال الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٦٢ «رواه الطبراني ، وفيه علي بن يزيد وهو متروك» .
والحديث أخرجه ابن السني ، وأبو نُعيم ، عن أبي أمامة مرفوعاً ، كما ذكر ذلك
المتقي في الكتر ١٠/ ١٧٧ ، ولفظه : «لكل شيء إقبالٌ وإدبارٌ ، وإنَّ من إقبال هذا
الدين أن تفقه القبيلةُ كُلُّها بأسرها ، حتى لا يوجد فيها إلَّا الرجلُ المجافي أو
الرجلان ، وإنَّ من إدبار هذا الدين أن يجفو القبيلةُ كُلُّها بأسرها ، حتى لا يوجد فيها
إلَّا الرجلُ الفقيهُ أو الرجلان ، فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعواناً ولا
أنصاراً» .

وأخرجه أحمد بن منيع ، قال : حدثنا يزيد هو ابن هارون ، ثنا محمد بن عبيد الله
الفزاري ، حدثنا عبيد الله بن زُحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة -
رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، ﷺ . «إنَّ لكل شيء إقبالاً وإدباراً ، وإنَّ لهذا
الدين إقبالاً وإدباراً ، وإنَّ من إقبال هذا الدين ما بعثني الله به ، حتى إن القبيلة لتفقه
من عند آخرها ، حتى لا يبقى فيها إلَّا الفاسق والفاسقان ، فهما مقهوران ، مقموعان ،
ذليلان ، إن تكلمَّا أو نطقا قُمعا ، وقُهرًا ، واضطهدا ، ثم ذكر من إدبار هذا الدين أن
تجفو القبيلة كلها من عند آخرها حتى لا يبقى إلَّا الفقيه والفقيهان ، فهما مقهوران ،
مقموعان ، ذليلان ، إن تكلمَّا ، أو نطقا قمعا وقُهرًا واضطهدا ، وقيل لهما : أتظنَّان
علينا ، حتى يُشرب الخمر في ناديتهم ، ومجالسهم ، وأسواقهم ، وتُنحل الخمرُ غير
اسمها حتى يلعن آخر هذه الأمة أولها ، ألا وحلت عليهم اللعنة ، ويقولون : لا بأس
بهذا الشراب ، يشرب الرجل منهم ما بدا له ثم يكف عنه ، حتى تمر المرأة فيقوم لها ،
فيرفع ذيلها فينكحها ، وهم ينظرون ، كما يرفع ذيل النعجة - ورفع عليه ثوباً من هذه
السحولية - ، فيقول القائل منهم : لو نحيتموها ! عن الطريق ، فذاك فيهم كأبي بكر
وعمر ، فمن أدرك ذاك الزمان وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فله أجر خمسين ممَّن
يحبني ، وآمن بي وصدقني» .

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، مخطوطة ، ٢/ ١٠٠ ب ، للحافظ ابن
حجر . باب ظهور الفساد في آخر الزمان ، وفضل الأمر بالمعروف في ذلك الوقت . =

= وقال ابن حجر بعدها: هذا حديث ضعيف، فيه أربعة في نسق. اهـ.
قلت: الأول: محمد بن عبيد الله الفزاري، وهو محمد بن عبيد الله الفزاري، بن أبي سليمان العززمي الفزاري، أبو عبد الرحمن الكوفي، كان من العباد الصالحين كما قال الذهبي.

قال أحمد: ترك الناس حديثه.

وقال ابن معين: ليس بشيء، لا يكتب حديثه.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال الجوزجاني: ساقط.

وقال العجلي: ضعيف.

وقال ابن حجر: متروك.

الثاني: عبيد الله بن زحر، وهو الضمري مولاهم الإفريقي.

قال المزي: ولد بأفريقية، ودخل العراق في طلب العلم، وكان رجلاً صالحاً. اهـ.
وضعه أحمد وابن معين.

وقال ابن المديني: منكر الحديث.

وقال أبو زرعة: لا بأس به، صدوق.

وقال أبو حاتم: لئن الحديث.

وقال النسائي: ليس به بأس.

وقال البخاري: مقارب الحديث.

وقال البخاري: كان رجلاً صالحاً، وفي حديثه لين.

وقال ابن حجر: صدوق يخطيء.

الثالث: علي بن يزيد، فهو الألهاني، سبق الكلام عنه.

الرابع: القاسم، وهو عبد الرحمن الشامي، أبو عبد الرحمن الدمشقي، مولى عبد الرحمن بن خالد بن يزيد بن معاوية الأموي. وثقه ابن معين، والعجلي، ويعقوب بن سفيان، والترمذي.

قال الجوزجاني: كان خياراً فاضلاً، أدرك أربعين رجلاً من المهاجرين والأنصار.

قال أبو حاتم: حديث الثقات عنه مستقيم، لا بأس به، وإنما ينكر عنه =

فهذه الأحاديث وما في معناها في وصف آخر الزمان وأهله ، قد دلت على أنه زمان كثرة الهالكين ، وقلة الناجين .

وأحاديث الغرباء قد دلت أوصافهم بأنهم هم الفرقة الناجية في ذلك الزمان ، وليسوا بفرقة مشار إليها كالأشعرية ، (١) [أ] و (٢) المعتزلة (٣) مثلاً .

= الضعفاء . قلت : ولعل كلام أبي حاتم - يرحمه الله - هو الزبدة في الأقوال ، والله أعلم .

قال ابن حجر : صدوق يُعرب كثيراً .

وقال الذهبي : صدوق . وقد روى له البخاري في الأدب ، والباقون ، سوى مسلم . وقد أطلال في ذكره الحافظ المزي في تهذيب الكمال ٣٨٣ / ٢٣ .

(١) الأشعرية فرقة تنسب لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - رحمه الله - ، والذي كان تلميذاً لأبي علي الجبائي ، رئيس المعتزلة ، ثم خالفه وعارضه ، بل وأعلن براءته من مذهب المعتزلة ، وذلك لما رأى فيه من الضلالة والفساد ! والأشاعرة قومٌ يثبتون لله - تعالى - الأسماء وسبع صفات ! يسمونها بالصفات العقلية ، وهي : العلم ، القدرة ، الإرادة ، الحياة ، السمع ، البصر ، الكلام . وينفون باقي الصفات من الصفات الخيرية والفعلية ، ومذهبهم باطلٌ مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة .

والإمام أبي الحسن الأشعري ثبت - كما نقل الأئمة ، كابن كثير ، والذهبي وغيرهما - أنه رجوع واستقر على عقيدة السلف ، ومما يؤكد ذلك كتابه الإبانة عن أصول الديانة ، الذي هو آخر مؤلفاته ، ففيه عقيدة السلف ، والإمام الأشعري غير أولئك المعروفين بالأشاعرة الذين اشتغلوا بتأويل الصفات ، واستمروا في هذا المسلك ، بل واهتموا في كتبهم بإقامة البراهين على أن أخص خصائص الألوهية ، هو الانفراد بالخلق والاختراع ، كابن فورك والباقلاني ، ومن تبعهما من متأخري الأشعرية ، فليتنبه لذلك ، والله المستعان .

(٢) ليست في ب .

(٣) المعتزلة ، قومٌ خالفوا مذهب أهل السنة والجماعة ومذهبهم يقوم على إثبات =

بل هم «النزاع من القبائل»، كما في الحديث (١).

= الأسماء، ونفي الصفات، وهم أتباع واصل بن عطاء الغزال، الذي اعتزل مجلس -إمام أهل السنة في عصره- الحسن البصري، واعتزل باعتزاله مذهب أهل السنة. وتبعه عمرو بن عبيد، ثم أبو علي العلاف والنظام وعبد الجبار الهمداني، وهؤلاء من أشهر رجالانهم، وقد انقسموا إلى فرق كثيرة، لكن يجمعهم اسم المعتزلة، ولهم أصول خمسة، هي أسس وقواعد عقيدتهم، والمعتزلة مُصابهم أنهم حقيقةً بالغوا في تقدّيس العقل، بل واعتبروه هو المصدر الأول للاعتقاد، ولا يتردّدون في تأويل ما يرونه من نصوص تعارض حكم العقل، لأنّ حكم العقل لديهم قطعي الثبوت، وحكم النقل، ظني الثبوت، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى. وللتوسع راجع الرسالة القيمة: «المعتزلة وأصولهم الخمسة». للشيخ عواد بن عبدالله المعتق، طبع دار العاصمة بالرياض.

(١) أقول هذه صفة من صفاتهم، كما وردت في الحديث الذي أخرجه أحمد في المسند ٤٩٧٥، والدارمي في سننه ٤٠٢/٢، وابن وضّاح في البدع والنهي عنها ٦٥، وأخرج الحديث البزار في البحر الزخار ٤٣٣/٥. وابن حزم في الأحكام في أصول الأحكام ٧٠٩/٤، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ٢٣، والبعوي في شرح السنة ١١٨/١، وغيرهم من طريق حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء». قيل: ومن الغرباء؟ قال: «النزاع من القبائل».

قلت: ورجاله ثقات، وقد صححه الحافظ البغوي.

وقد أخرجه - أيضاً - الترمذي كما في العلل الكبير بترتيب أبي طالب القاضي ٨٥٤/٢، من الطريق نفسه، وصححه.

قال الترمذي: «سألت محمداً عن هذا الحديث، فقال: لا أعلم أحداً روى هذا الحديث غير حفص بن غياث، وهو حديث حسن».

وهم متبعوا الرسول ، ﷺ ، أتباعاً قولياً وفعلياً^(١) ، من أيّ فرقة كانت^(٢)(٣).

هذا وقد ذُكر في الفرقة^(٤) النّاجية أنّهم صالحوا كل فرقة ، وذُكر أنّهم

(١) في ب : «فعلياً وقولياً» .

(٢) في ب «كانوا» .

(٣) هذا القول للمصنّف فيه نظراً فالفرقة الناجية الواردة في الحديث واحدة! وقد جاء تحديدها بأوصاف الجماعة ، وما كان عليه ، ﷺ ، وأصحابه ، والسواد الأعظم ، فهذه الأوصاف هي لفرقة واحدة ناجية ، فالفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة هم الصحابة والتابعون لهم ، والسلف الصّالح ، وأصحاب الحديث رواية ودراية الذين اغتربوا وجمعوا أحاديث رسول الله ، ﷺ ، وحفظوها وعَلَّموها الأمة ، وهم أهل العلم والفقه في دين الله - تعالى - ، والدّعاة في سبيله هم الطائفة المنصورة ، وهم الغرباء في هذه الأمة إذا كثرت البدع والأهواء والخرافات وفسد الزمان .

قال شيخ الإسلام في الواسطية : «لكن لما أخبر النبي ، ﷺ ، أنّ أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة ، وفي حديث عنه أنه قال : «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» . صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب ، هم أهل السنة والجماعة ، وفيهم الصّديقون ، والشهداء ، والصالحون ، ومنهم أعلام الهدى ، ومصايح الدّجى ، أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة ، وفيهم الأبدال ، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة» اهـ .

فالفرقة الناجية إذن واحدة ، لكن لها أوصاف متعددة . وهذه قاعدة يغفل عنها الكثير فالله المستعان .

(٤) في ب : « . . . في تفسير الفرقة . . . » .

أهل البيت النبوي^(١)، سلامُ الله عليهم، ومن اتَّبَعهم . إلّا أن ذلك مبنيٌّ على أن القضية دائمة، ثم هو لا يدفع الإشكال كما لا يخفى .

نعم وهذا كلّه توفيق بين الأحاديث، مبني على صحة قوله : «كلها

(١) من المقرر عند أهل السنة والجماعة محبة أهل بيت النبي، ﷺ، فهم يحبونهم، ويحترمونهم، ويتولونهم، ويكرمونهم لقرباتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال العلامة عبدالعزيز الرشيد - يرحمه الله - في التنبهات السنّية :
« فاحترامهم، ومحبتهم والبرّ بهم، من توقيره واحترامه، ﷺ، وامتثالاً لما جاء به الكتاب والسنة من الحث على ذلك وقد تكاثرت الأحاديث بالأمر بذلك، والحث عليه، قال ابن كثير - يرحمه الله - بعد كلام : ولا تنكر الوصاية بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم، وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، وأشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرّاً ووحسباً ونسباً، ولا سيّماً إذا كانوا متبعين للسنة النبويّة الصحيحة الواضحة الجليّة، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وأهل بيته وذويه، وأهل البيت هم : آل النبي، ﷺ، الذين حرّمت عليهم الصدقة . كما فسّر ذلك راوي الحديث، وهم : آل علي، وآل جعفر، وآل عقیل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبدالمطلب، كما جاء تفسيره في صحيح مسلم، وكذلك أزواج النبي، ﷺ، من أهل بيته كما دل عليه سياق آية الأحزاب، كما قرر ذلك الشيخ تقي الدين وابن القيم وغيرهما . اهـ .

إذن فوجوب محبة آل بيت رسول الله، ﷺ، من عقيدة أهل السنة والجماعة، لكن من غير غلو فيهم، كما هو حال الرافضة! الذين غلّو في حب آل البيت . وادّعوا زوراً وبُهتاناً أنهم يحبّوهم، فغلّو في ذلك الحب، وغلّو في علي وأولاده إلى حدّ التألّه نعوذ بالله من الضلالة بل جعله بعضهم إلهاً، وبعضهم جعله نبياً، ومن غير تقصير كما هو حال النواصب، الذين ناصبوا علياً العداء . . . إلخ، فأهل السنة بحمد الله وسط بين ذلك .

هالكة إلا فرقة»^(١).

ولا شك أنه قد ثبت في كتب السُّنة كما سمعته ، ولكنه قد نقل السيد العلامة الحافظ عزّ الدّين^(٢) محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله^(٣) عن أبي

(١) أقول لم يرد في شيء من طرق حديث الافتراق لفظ : «كلها هالكة إلا فرقة» . على حدّ ما بحثت ووقفت ، وإنما اللفظ المشهور هو : «كلها في النار إلا واحدة» لكن ورد في حديث أبي الدرداء ، وأبي أمامة ، وائلة ابن الأسقع ، وأنس بن مالك - رضي الله عنهم ، مرفوعاً ولفظه : «كلهم في الضلالة إلا السواد الأعظم» .
أخرج ذلك الطبراني في الكبير ١٧٨ / ٨ . وإسناده باطل ، قال الهيثمي في المجمع ١٥٦ / ١ : «فيه كثير بن مروان وهو ضعيف جدّ» . قلت : ورواه كثير بن مروان عن عبدالله بن يزيد الدمشقي . وقد قال عنه الإمام أحمد : أحاديثه موضوعة .
قال أبو حاتم : لا أعرفه ، وحديثه باطل .

وقال الجوزجاني : أحاديثه مناكير ، وليس بثقة . وورد الحديث - أيضاً - بلفظ : «كلها ضالة ، إلا فرقة واحدة» . من حديث عمرو بن عوف أخرجه الحاكم في المستدرک ١ / ١٢٩ ، عن كثير بن عبدالله بن عمرو ابن عوف بن يزيد ، عن أبيه عن جده . وإسناده ضعيف جدّاً ، لأن كثيراً متروك .

(٢) في ب : «عز الإسلام والدين» .

(٣) في ب : «قدّس الله سرّه» . والوزير هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن المنصور ابن الوزير اليماني ، العالم ، العلامة المجتهد . ولد سنة ٧٧٥ هـ بالقرب من صنعاء ، وتلقى العلم من شيوخ بلدته ، ثم رحل في طلب العلم إلى صعدة ، ومكة المكرمة ، والتقى بجمع من أهل العلم . وبرز ، وطار صيته في الآفاق ، وتفرد للتصنيف ، وبرع في ذلك وأجاد ، وألّف مؤلفات ، من أشهرها العواصم والقواصم في الذبّ عن سنة أبي القاسم ، وله مختصر عليه اسماء الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ، وله - أيضاً - إثبات الحق على الخلق في ردّ الخلافات على المذهب الحق ، وغيرهما أثنى عليه عدد من أهل العلم كالحافظ بن حجر في أنباء الغمر ، والحافظ السخاوي في الضوء اللامع وغيرهما ، وأثر العزلة =

محمد بن حزم في بعض رسائله^(١) ما لفظه^(٢) : قال الحافظ أبو محمد بن حزم : «إنَّ الزيادة بقوله : «كلَّها هالكة إلا فرقة» . موضوعه ، وإنما الحديث المعروف : «إنها تفترق إلى نَيْفٍ وسبعين فرقة»^(٣) لازيادة على

= في آخر حياته لمحن أصابته من متعصبي الزيدية الذين آذوه وأخذوا يوشنون به إلى الحكام ، فانقطع للعبادة والتصنيف ، حتى أدركته الوفاة ، سنة ٨٤٠ هـ .

(١) بحثت في كتب الإمام بن الوزير المطبوعة ولم أعثر على ما ساقه المصنف هنا كاملاً ، وإنما الذي وجدته هو ما ذكره في كتابه العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ١٧٢/٣ ، قال : « » وعن ابن حزم أن هذه الزيادة موضوعه ، ذكر ذلك صاحب «البدر المنير» .

وقال في المجلد الأول ص ١٨٦ : « » وعن ابن حزم : أنها موضوعه ، غير موقوفة ولا مرفوعة » وبحثت في بعض كتب ابن حزم ولم أعتد لهذا النص الطويل الذي أورده المصنف ، وإن كان لابن حزم كلاماً على حديث الافتراق في بعض مصنفاته ، لكن لا يبلغ ما ساقه المصنف هنا . وعلى كل من وقف على هذا النص فليتحفنا به وله الشكر سلفاً

(٢) في ب : «في بعض رسالاته عن أبي محمد بن حزم - يرحمه الله تعالى - ما لفظه» .

(٣) أقول الحديث الوارد في الافتراق ، كما جاء في الروايات الصحيحة ، ورد بلفظ : « » وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة» . واللفظ الآخر : « » وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة » .

ولم أقف على هذا اللفظ : « إلى نَيْفٍ وسبعين فرقة» . الذي نقله ابن الوزير ، عن ابن حزم ، كما قال المصنف ، ولم يرد في طرق الحديث بهذا اللفظ ؟ سوى أن الحافظ عبيد الله ابن بطّة العكبري ، رواه مُعلّقاً ، وموقوفاً على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بلفظ : «تفترق هذه الأمة على نَيْفٍ وسبعين فرقة ، شرّها فرقة تتحل حبنا وتخالف أمرنا» . وذلك في كتابه القيم : الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ١٦٩ ، وربما أن ابن حزم وقف على رواية لم نقف عليها ، والله أعلم . =

هذا^(١) في نقل الثقات .

ومن زاد على نقل الثقات في الحديث المشهور، كان عند المحدثين مُعَلَّاً ما زاده^(٢) غير صحيح، وإن كان الراوي ثقة .

غير أنَّ مخالفة الثقات فيما شاركوه في حديثه، يقوي الظن على أنه وهم فيما زاده، أو أدرج في الحديث كلام بعض الرواه وحسبه من كلام رسول الله ﷺ، فيُعلُّون الحديث بهذا وإن لم يكن مقدوحاً فيه^(٣) .

= ومعنى قوله: «نَيْفٌ»، النَيْفُ: الزيادة، قال ابن منظور في اللسان: «... ومنه يقال: عشرون ونَيْفٌ، لأنه زائد على العقد، الأزهري ومن ناف يقال: هذه مائة ونَيْفٌ، بتشديد الباء، أي: زيادة، وهي كلام العرب، وعوامُّ الناس يخفُّون فيقولون: ونيف، وهو لحن عند الفُصحاء، قال أبو العباس: الذي حَصَلَنَاهُ مِنْ أَقَاوِيلِ حُدَّاقِ البصريين والكوفيين أَنَّ النَيْفَ من واحدة إلى ثلاث» ٣٤٢/٩ .

(١) في ب: «هذي» .

(٢) في ب: «ما رواه» .

(٣) زيادة الثقات من الفنون المهمة في علم مصطلح الحديث، وقد طرقها علماء الحديث ونقاده، وحرَّروا الأقوال فيها، والثقات جمع ثقة، والثقة هو الراوي العدل الضابط، وإذا تفرَّد الراوي الثقة بزيادة في الحديث عن بقيَّة الرواة في السند أو المتن عن شيخ لهم، فهذه تسمَّى زيادة الثقة . ولقد اختلف أهل الشأن في حكم زيادة الثقة، هل هي مقبولة أم لا؟ فقال قوم: تقبل مطلقاً من غير تفصيل، وهو قول أكثر الفقهاء . وقد قال الحافظ في الزهدة: «ولا يتأتَّى ذلك على طريق المحدثين الذين يشترطون في الصحيح أن لا يكون شاذّاً، ثم يُفسَّرون الشذوذ بمخالفة الثقة من هو أوثق منه...» . اهـ . ص ٩٦ .

وقال آخرون: تردُّ مُطلقاً، وهم أكثر المحدثين، حكى ذلك الخطيب . وفصل آخرون فقالوا: «إن اتَّحد مجلس السماع لم تُقبل، وإن تعدَّد قُبِلَتْ . ومنهم من =

= قال: تقبل الزيادة إذا كانت من غير الراوي، بخلاف ما إذا نشط فرواها تارة وأسقطها أخرى! . ومنهم من قال: إن كانت مخالفة في الحكم لما رواه الباقر لم تقبل، وإلا قبلت! كما لو تفرّد بالحديث كله، فإنه يقبل تفرّده به إذا كان ثقةً ضابطاً أو حافظاً، وقد حكى الخطيب على ذلك الإجماع، (اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ص ٥٨). قال الحافظ في النزّهة: «والمقول عن أئمة الحديث المتقدمين - كعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى القطان، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعليّ بن المديني، والبخاري، وأبي زرعة، وأبي حاتم، والنسائي، والدارقطني وغيرهم - اعتبارُ الترجيح فيما يتعلّق بالزيادة وغيرها، ولا يُعرف عن أحدٍ منهم إطلاق قبول الزيادة». ثم قال: «وأعجبُ من ذلك إطلاقُ كثير من الشافعية القولَ بقبول زيادة الثقة، مع أن نصّ الشافعي يدلُّ على غير ذلك، فإنّه قال في أثناء كلامه على ما يُعتبر به حال الراوي في الضبط ما نصّه: «ويكون إذا أشرك أحداً من الحفاظ لم يُخالفه، فإن خالفه فوجد حديثه أنقص كان في ذلك دليل على صحّة مخرج حديثه، ومتى خالف ما وصفْتُ أضرب ذلك بحديثه»، انتهى كلامه، ومقتضاهُ أنّه إذا خالف فوجد حديثه أزيد أضرب ذلك بحديثه، فدلّ على أن زيادة العدل عنده لا يلزم قبولها مطلقاً، وإنما تقبل من الحافظ، فإنّه اعتبر أن يكون حديث هذا المخالف أنقص من حديث من خالفه من الحفاظ، وجعل نقصان هذا الراوي من الحديث دليلاً على صحّته، لأنّه يدلُّ على تحرّيه، وجعل ما عدا ذلك مُضرباً بحديثه، فدخلت فيه الزيادة، فلو كانت عنده مقبولة مطلقاً لم تكن مُضرةً بحديث صاحبها. والله أعلم». ٩٦هـ، ٩٧.

أقول: قول الترمذي، وظاهر كلام الإمام أحمد كما ذكر الحافظ ابن رجب في شرح علل الترمذي: إن الزيادة تقبل إذا كانت من حافظ يُعتمد على حفظه، ولكن ينبغي أن يُنظر إلى القرائن التي تحيط بالزيادة كثقة الحافظ من ضعفه، وينظر إلى المخالفة أو الموافقة، والكثرة أو القلة، وكذلك الحكم في الرفع والوقف، وفي الوصل والإرسال، فيحكم للأرجح، والله - تعالى - أعلم، ومن أراد التوسع والزيادة فعليه بالكتاب الحافل بالفوائد والدّرر، شرح علل الترمذي للحافظ ابن رجب الحنبلي، - أيضاً - كتاب الإمام الصنعاني توضيح الأفكار، وكتب المصطلح، خصوصاً النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر. والنزّهة.

على أن أصل الحديث الذي حَكَمُوا بصحَّته ليس ممَّا اتفقوا على صحَّته ، وقد تجنَّبه البخاري ومسلم مع شهرته لعدم اجتماع شرائطهما فيه انتهي كلامه^(١) .

(١) الذين طعنوا في حديث الافتراق ، أو لفظة : «كلها في النَّار إلا واحدة» ليس معهم حجة لرد الحديث إلا قولهم :

إنَّ الحديث أو أصله لم يرد في أيِّ من الصحيحين ؟؟ فيُوهَنُون الحديث بهذا ! وهذا قول ساقط متهافت ، لأنه لو سُلم بهذا القول ، لرددنا غالب أحاديث النبي ، ﷺ ، الواردة في الكتب الأخرى ، وهذا جهلٌ وظلم ! فهل يقول قائل إنني لا أقبل الحديث إلا إذا كان في الصحيحين ، أو أحدهما ، أو على شرطهما ، وما سوى ذلك أردته ! أقول : هذا إما جهل ، أو تعصُّب وتشدد وتقليد ، أو هوى ! نعم نحن نقول إنَّ مراتب الصحيح هي : ما اتفقا عليه ، وهو أعلاها ، ثم ما انفرد به البخاري ، ثم ما انفرد به مسلم ، ثم ما كان على شرطهما ولم يخرجاه ، ثم ما كان على شرط البخاري ، ثم ما كان على شرط مسلم ، ثم ما صح عند غيرهما من الأئمة . أما أنَّ الصحيح لا يوجد إلا عند البخاري أو مسلم ، فهذا قولٌ باطل لا يقبل ؟؟ والذي يَرُدُّ هذا القول الشيخان - يرحمهما الله تعالى - قال ابن عدي في مقدمة الكامل ٢١٠ : سمعت الحسن بن الحسين البخاري يقول : سمعت إبراهيم بن معقل يقول : سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : «ما أدخلتُ في كتاب الجامع إلا ما صحَّ ، وتركْتُ من الصَّحاح لحال الطول» . وهذا مسلم يقول : «ليس كلُّ شيءٍ عندي صحيحٌ وضعته ها هنا ، إنما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه» . صحيح مسلم في كتاب الصلاة ٣٠٤ / ١ أي : ما وجد عنده فيها شرائط الصحيح المجمع عليه ، وقد كان البخاري يصحح أحاديث ليست في كتابه ، في السنن وغيرها ، ومن هذا ما كان يذكره الترمذي وغيره عنه .

وقد جاء من بعدهما أئمة وحفاظ أخرجوا أحاديث على شرطهما أو أحدهما ، كالحاكم في المستدرک ، والضياء المقدسي في المختارة وغيرهما .

إذن نقول بعد ذلك لمن ردَّ هذا الحديث وغيره ، هل إذا لم يورد البخاري ومسلم =

هذا ما سنح للفقيه محمد بن إسماعيل الأمير، - عفا الله عنه - في توجيه الحديث، بعد أن سألتني عنه بعض الإخوان العلماء، فإن وافقَ فَمِنْ فضل من ألهم إليه، وإلا فمن قصور من حرّره في شهر ذي القعدة الحرام سنة ١١٣٣هـ.



= هذا الحديث في صحيحيهما، يعتبر مقدوحاً فيه؟ لأنني أتعجبُ من صنيع بعضهم من كتاب هذا العصر! فبعد أن احتج بأن هذا الحديث ليس في الصحيحين أو أحدهما، قال: «وما يقال من أنهما لم يستوعبا الصحيح، ولكنهما حرصاً ألاّ يدعا باباً مهماً من أبواب العلم إلاّ ورويا فيه شيئاً ولو حديثاً واحداً».

وهذا قولٌ متناقض، كيف يسلم بالأمر، ثمّ يخالفه، إذن لا فائدة من هذا التسليم المزعوم! ثم إن هذه القاعدة التي يتكئ عليها من قوله «ولكنهما حرصاً ألاّ يدعا باباً...» لا يسلم بها مطلقاً، وهي قاعدة ليست بدقيقة ثمّ من قال بهذه القاعدة من أهل التحقيق؟! فمهما حاول من حاول من أجل ردّ هذا الحديث، فإنه سيجد نفسه عاجزاً، وذلك لأن الحديث ثابت بل وعدّه الكتاني متواتراً كما في نظم المتناثر. وقد صححه أئمة حفاظ ونقاد، من أهل الرُّسوخ في علم الحديث وعلمه.

ثم إن اللفظة التي اعترض عليها ابن الوزير وابن حزم ومن قلّدهما! ثابتة وفق موازين البحث العلمي، والنقد الحديثي ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فليس التهويل والتشويش هو الذي يطعن في الروايات وابن الوزير نفسه في الرّوض الباسم أورد الحديث ذاكراً بعض طرقه، ومنها حديث معاوية، الذي فيه هذه الزيادة مصححاً له! فهذا تناقض منه؟ أما كلام ابن حزم فيتهاوى أمام تصحيح أئمة الحديث ونقاده لهذه الزيادة، فقد صحح الحديث الوارد بهذه الزيادة، أئمة منهم الحافظ العراقي، وكذلك الحاكم والذهبي، وشيخ الإسلام، وابن حجر - يرحمهم الله -، وهم أئمة أعلام في علم الجرح والتعديل والنقد الحديثي، وقد عقد العلامة المقبل فصولاً نقد فيه كلام ابن الوزير، وهو ردّ على غيره - أيضاً -، وهو كلام نفيس لولا طوله لأوردته، فليرجع إليه من أراد المزيد في كتاب العلم الشامخ.

في نسخة (ب): «هذا ما سنح للنظر القاصر، والبصر الكليل
الفاتر، فإن وافق فمن فضل الله وله الحمد، وإنْ ثَمَّ قصور قائله - عفا الله
عنه - حرّر في يوم السبت السادس عشر من صفر ١١٥٠ هـ.

بقلم الفقير إلى الله - تعالى - : علي أحمد إسماعيل ،

غفر الله له ولوالديه آمين

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، والحمد لله رب العالمين ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» .

وجد في نهاية المخطوطة «ب» ما نصّه :

(ب) بعناية القاضي العلامة : صفى الدين أحمد بن محمد الخطيب ،
عافاه الله تعالى ، وغفر له آمين يا رب العالمين ، نهاية شهر صفر سنة
١١٥٠ هـ) .

انتهيت من مراجعتها والتعليق عليها - والله الحمد والمنة - يوم الثلاثاء
١٤١٤/٦/١٠ هـ، مع اعتذاري لإطالتي في حاشية الرسالة ، فما أردت إلا الفائدة
للجميع ، والله الهادي والمعين .

وكتبه :

أبو أكثم سعد بن عبد الله السعدان .

□ □ □

فهرس المراجع

الهمزة

أمالى المحاملى	للمحاملى	دار ابن القىم
إعلام الموقعىن	لا بن القىم	دار الجىل
إتمام المنة والنعمة بزم اختلاف الأمة	لعبد الرحمن بن	دار البراء
	حسن آل الشىخ	
اقتضاء الصراط المستقىم	تحقىق العقل	العىىكان
أعلام السنة المنشورة	للحكىمى	مكتبة السواى
أحوال الرجال	للجوزجانى	الرسالة
أخلاق العلماء .	للأجرى	المكتب الإسلامى
اعتقادات فرق المسلمىن المشركىن	للرازى	دار الكتاب العربى
الأعلام	للزركلى	دار العلم للملاىىن
الإحسان فى تقرىب صحىىح ابن حبان	لابن بلبان	الرسالة
الأداب	للىهقى	المكتبة الثقافىة
الأموال	لابن زنجوىه	مركز الملك فىصل
الإبانة	لابن بطة	تحقىق رضا بن نعسان
		معطى

دار الحديث	ابن سبط العجمي	الاغتباط بمن رمي بالاختلاط
دار ابن عثمان	للشاطبي	الاعتصام
الرسالة	لابن منده	الإيمان
		الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة
دار النفائس	لعمر الأشقر	والجماعة
دار المسلم	ناصر العقل	الافتراق
المكت الإسلامية	للأجري	الأربعون حديثاً
دار الكتب العلمية	للقنوجي	أبجد العلوم
ط . مكتبة عاطف	لابن حزم	الإحكام في أصول الأحكام .
دار الكتب العلمية	لأبي نعيم	أخبار أصبهان

الباء

دار العاصمة	لابن حجر	بذل الماعون
دار الراية	لابن عبد الهادي	بحر الدم
مكتبة العلوم والحكم	للبنزار	البحر الزخار
دار الراية	أبو شامة	الباعث على إنكار البدع والحوادث
مكتبة ابن تيمية	للسوكاني	البدر الطالع
مكتبة المنار	للسكسي	البرهان في معرفة عقائد الأديان
دار الرائد العربي	لابن وضّاح	البدع والنهي عنها
المعارف	لابن كثير	البداية والنهاية

التاء

تحفة الأحوزي	للمباركفوري	دار الكتب العلمية
التذكرة	للقرطبي	الريان
تهذيب الكمال	للمزي	الرسالة
تهذيب التهذيب	لابن حجر	دار الفكر
تقريب التهذيب	لابن حجر	دار الرشيد
تفسير الكشاف	للرازي	دار الكتاب العربي
تبين كذب المفتي فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري	لابن عساكر	دار الفكر
تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان	لابن سعدي	
تفسير النسائي		دار الرشد
التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية		
عن الفرق الهالكين	للإسفراييني	عالم الكتب
تفسير القرطبي		الشعب
تدريب الراوي	للسيوطي	دار التراث
تاريخ بغداد	للخطيب	دار الكتاب العربي
التنكيل	للمعلمي	المكتب الإسلامي
تليس إبليس	لابن الجوزي	دار الكتب العلمية
تذكرة الحفاظ	للذهبي	دار الكتب العلمية
تاريخ الإسلام	للذهبي	دار الرسالة
تاريخ داريا	للخولاني	دار الفكر

التوحيد	لابن منده	تحقيق علي فقيهي
التدليس في الحديث	للدميني	
التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية	للرشيد	دار الرشيد
تغليق التعليق	لابن حجر	المكتب الإسلامي

الجيم

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع	للخطيب	الرسالة
جزء الألف دينار	القطيعي	النفايس
جامع الأصول	لابن الأثير	دار الفكر
جزء فيه أحاديث نافع بن نعيم		دار الصحابة
جامع العلوم والحكم	لابن رجب	الرسالة
الجامع الصغير	للسيوطي	دار إحياء السنة

الحاء

حلية الأولياء	لأبي نعيم	دار الكتب العلمية
حقيقة الفرقة الناجية	سقاف الكاف	مكتبة المطيعي
الحجة بيان المحجة	قوَّام السنة	دار الراية
الحوادث والبدع	للطرطوشي	دار ابن الجوزي

الخاء

قرطبة	أحمد مزيد	خصائص أهل السنة
دار الكتب العلمية	للقنوجي	خبيئة الأكوان

الذال

التراث	للقنوجي	الدين الخالص
دار الريان	لليهيقي	دلائل النبوة
محمل خليل هراس ابن تيمية		دعوة التوحيد
دار الريان	لليهيقي	الدلائل

الذال

ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين		
المخالفة للسنن والمبتدعين	لليافعي	البخاري
ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة	للغنيمة	مكتبة لينة

الراء

رياض الصالحين	للنووي	الرسالة
رسائل الغرباء	للشيخ العودة	ابن الجوزي
الرسائل المستطرفة	للكتاني	
الروض الباسم	للويز	دار المعرفة

الزاي

الزهد	لهناد بن السري	دار الخلفاء
الزهد	لوكيع	مكتبة الدار
الزهد الكبير	لبيهقي	م . الكتب الثقافية

السين

سنن أبي داود		دار الحديث
سنن النسائي		دار البشائر
سنن الترمذي		المكتبة الإسلامية
سنن ابن ماجه		إحياء التراث العربي
سنن الدارمي		دار الكتاب العربي
سير أعلام النبلاء	للذهبي	الرسالة
السنن الكبرى	لبيهقي	دار الفكر
السنة	للمروزي	المكتبة الثقافية
السلسلة الصحيحة	للأباني	المعارف
السلسلة الضعيفة	للأباني	المعارف

الشين

شرح السنة	للبغوي	المكتب الإسلامي
شرح أصول الاعتقاد	للالكائي	طيبة

شعب الإيمان	للييهقي	الكتب العلمية
شرح النونية	لابن عيسى	المكتب الإسلامي
شرح النونية	لابن سعدي	ابن الجوزي
شرح علل الترمذي	لابن رجب	المنار
شرح صحيح مسلم	للنووي	مكتبة الرياض
شرح السنة	للبرهاري	دار ابن القيم
شرف أصحاب الحديث	للخطيب	دار إحياء السنة
شرح الطحاوية	لابن أبي العز	الرسالة
شرح الواسطية	للفوزان ،	المعارف
الشرعية	للاجري	أنصار السنة
الشفاعة	للوادعي	دار الأرقم

الصاد

صحيح البخاري	دار ابن كثير
صحيح مسلم	المكتبة الإسلامية
صفوة المفاهيم	المنار
صريح السنة	دار الخلفاء
الصحة الإسلامية بين الاختلاف	
المشروع والتفريق المذموم	للقرضاوي
الصحيح المسند من أحاديث الفتن	دار الصحوة
والملاحم . .	العدوي
	دار الهجرة

الضاد

الضعفاء الكبير للعقيلي دار الكتب

الطاء

طريق الهجرتين لابن القيم دار ابن القيم

العين

العزلة للخطابي ابن كثير

العواصم والقواصم ابن الوزير الرسالة

علل الترمذي الكبير أبو طالب القاضي مكتبة الأقصى الأردن

علوم الحديث لابن الصلاح دار الفكر

العقود الياقوتية لابن بدران مكتبة السداوي

العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة

الصحيحة لمحمد جميل زينو المطبعة الأهلية

العلل المتناهية لابن الجوزي الكتب العلمية

العلم الشامخ للمقبلي دار الحديث

الفاء

الفوائد للرازي دار الرشد

الفوائد لابن القيم دار البيان

الفتن لنعيم بن حماد التوحيد القاهرة

فتح المغيث للسخاوي

فتح الروهاب للغماري عالم الكتب

فتاوى شيخ الإسلام عالم الكتب

فتح الباري لابن حجر السلفية

فيض القدير للمناوي دار إحياء السنة

فهارس المعجم الكبير	عدنان عرعرو	الراية
فتيا وجوابها	للعطار الهمداني	العاصمة
الفتح السماوي	للمناوي	العاصمة
الفرق بين الفرق	للبيгдаدي	المعرفة

القاف

قرة عيون الموحدين	عبدالرحمن بن حسن	ابن الجوزي
قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر	القنوجي	تحقيق القريوتي

الكاف

كتاب السنة	لابن أبي عاصم	المكتب الإسلامي
كنز العمال	للمتقي	الرسالة
كشف الخفاء	للعجلوني	الرسالة
الكامل في الضعفاء	لابن عدي	دار الفكر
كشف اللثام	للمجديعي	
كشف الغمة ببيان خصائص رسول الأمة	لأبي الحسن	مكتبة ابن تيمية
عَلَيْهِ السَّلَامُ والأمة	المصري	
كشف الظنون	حاجي خليفة	دار الفكر

اللام

لسان الميزان	لابن حجر	دار صادر
لوامع الأنوار البهية	للسفاريني	الخافقين

الميم

مدارج السالكين	لابن القيم	دار الكتاب العربي
موضح أوهام الجمع والتفريق	الخطيب البغدادي	دار الباز
مجموع فتاوى	ابن باز	ط . الفرزدق
مسند الإمام أحمد		المكتب الإسلامي
مسند أبي يعلى الموصلي		دار القبلة
مسند عمر بن عبدالعزيز		دار ابن كثير
مسند الطيالسي		المكتبة الإسلامية
معجم ابن الأعرابي		الكوثر
مصنف عبدالرزاق		المكتب الإسلامي
مصنف ابن أبي شيبة		المكتبة الثقافية
مجمع الزوائد	الهيثمي	الكتب العلمية
معجم الشيوخ	للمصداوي	الرسالة
مسند الشهاب	للقضاعي	الرسالة
مسند الشاميين	للمطبراني	الرسالة
المعتزلة وأصولهم الخمسة	للمعتق	دار العاصمة
مصابيح السنة	للبغوي	دار المعرفة
مختصر زوائد مسند البزار	لابن حجر	الكتب الثقافية

مصباح الزجاجاة	للבוصري	الكتب الثقافية
مفردات ألفاظ القرآن	الراغب	دار القلم
منهاج السنة	ابن تيمية	ط . جامعة الإمام
معالم الانطلاقة الكبرى	المصري	دار طيبة
معارج القبول	الحكمي	دار ابن القيم
مجموعة الرسائل والمسائل النجدية		دار العاصمة
مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين	محمد العبدية وطارق	دار الأرقم
وتفرقهم	عبدالحليم	
مجمع الأمثال	للميداني	السنة المحمدية
مصلح اليمن : محمد بن إسماعيل	لعبد الرحمن بعكر	مكتبة أسامة
الصنعاني		
مفهوم أهل السنة والجماعة	ناصر العقل	دار الوطن
موارد الظمان	للهيثمي	الكتب العلمية
مفتاح الجنة	المعصومي	المكتبة الإسلامية
المنتخب من مسند عبد بن حميد		عالم الكتب
المعجم الكبير	للطبراني	ط . ابن تيمية
المعجم الأوسط	الطبراني	المعارف
المعجم الصغير	الطبراني	المكتب الإسلامي
المطالب العالية	لابن حجر	مخطوط
المستدرك	الحاكم	دار الكتب العلمية
المقاصد الحسنة	السخاوي	دار الكتب العلمية
المعرفة والتأريخ	الفسوي	مكتبة الدار

المنتقى من منهاج السنة النبوية	للذهبي	ابن تيمية أكاديمي
المذكر والتذكير والذكر	لابن أبي عاصم	دار الصحابة
المدخل	لليهيقي	دار الخلفاء
مرشد المحتار	لحمدي السلفي	عالم الكتب
معرفة علوم الحديث	للحاكم	دار الكتب العلمية

النون

نزهة النظر	لابن حجر	ابن الجوزي
نهاية البداية	لابن كثير	مكتبة النصر
النكت على ابن الصلاح	لابن حجر	دار الراية
نظم المتناثر	الكتاني	دار الكتب السلفية
نبوءات الرسول	محمد ولي الله	دار السلام
	الندوي	
نصب الراية	للزيلي	دار الحديث
النهاية في غريب الحديث	لابن الأثير	أنصار السنة
		المحمدية

الهاء

الهوى وأثره في الخلاف	الغنيان	دار الوطن
-----------------------	---------	-----------

الواو

الولاء والبراء	القحطاني	طيبة
الوسيط في علوم ومصطلح الحديث	محمد أبو شهبه	عالم المعرفة
وجوب لزوم الجماعة	جمال بادي	دار الوطن

فهرس الآيات

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وإذا فرقنا بكم البحر...﴾	البقرة	٥٠	١٦
﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله...﴾	البقرة	٩١	٣٣
﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾	البقرة	١١١	١٠٠
﴿وما يختلف فيه إلّا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات﴾	البقرة	٢١٣	٦٥
﴿إن الذين عند الله الإسلام﴾	آل عمران	١٩	١
﴿وما يختلف الذين أوتوا الكتاب...﴾	آل عمران	١٩	٦٥
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾	آل عمران	١٠٢-١٠٣	٢
﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾	آل عمران	١٠٣	٢٢
﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا...﴾	آل عمران	١٠٥	٦٥، ١٨
﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾	آل عمران	١٠٦	١٨
﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾	النساء	١٠	٢٣
﴿ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً...﴾	النساء	٣٠	٢٣
﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾	النساء	٥٩	٢٥
﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه...﴾	الأنعام	١٥٣	٢٥، ٢٢

٢٢، ١٨	١٥٩	الأنعام	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْياً . . ﴾
١٦	٤٦	الأنفال	﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ . . ﴾
١٨	٤٨	الأنفال	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ . . . ﴾
٦	١١٩-١١٨	هود	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً . . ﴾
٩	١٥	الإسراء	﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ . . . ﴾
٩	١٥	الإسراء	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾
٩	٤٩	الكهف	﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾
١٨	٥٣	المؤمنون	﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا . . . ﴾
١٩	٥٣	المؤمنون	﴿كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾
٢٢	٣٢-٣١	الروم	﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . . . ﴾
١٥	٧٢	الأحزاب	﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾
١٨	١٣	الشورى	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . . . ﴾
١٣	٢٣	الزخرف	﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ . . . ﴾
٢٣	١٠	الحشر	﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ . . . ﴾
١٠	٩-٨	الملك	﴿كَلِمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا . . ﴾
٤٠	١	الغاشية	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾
٦٤	٤	البيّنة	﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ . . . ﴾



فهرس الأحاديث

الصفحة	الراوي	الحديث
٣١ ، ٣٠	أبو موسى الأشعري	«أئذن له وبشّره بالجنة . . .»
١١	عمرو بن العاص	«أبهذا أمرتم . . .»
٥٥	عبدالله	«أترضون أن تكونوا ربّع الجنة . . .»؟
٨٥	عبدالله بن عمرو	«أحب شيء إلى الله الغرباء . . .»
٦٢	ثوبان	«إذا وضع السيف في أمتي . . .»
٥٩	أبو موسى	«إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم . . .»
٥٢	عوف بن مالك	«افترقت اليهود على إحدى وسبعين . . .» «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى . . .»
٢١ ، ٢٠	جندب بن عبدالله	«اقرأوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم . . .»
١٠	معاوية	«ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا . . .»
٤٨	أبو هريرة	«الإسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ . . .»
٨٢	أبو هريرة	«أمتي أمة مرحومة ، جعل الله عذابها بأيديها . . .»
٥٩	أبو هريرة	«أمتي أمة مرحومة قد رُفع عنهم العذاب . . .»
٥٩	معاذ بن جبل	«أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة . . .»
٦١		

- «أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة. . .» ٥٩ أبي موسى
- «أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عذابها في الدنيا الزلازل. . .» ٦٠ ابن عمر
- «أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة. . .» ٧٢، ٥٧ أبي موسى
- «أمتي أمة مرحومة متابٌ عليها، تدخل قبرها بذنوبها. . .» ٥٥ أنس
- «أمتي أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها» ٥٤، ٥٣ أنس
- «أمتي لا عذاب عليها في الآخرة. . .» ٦٠ خالد بن معدان
- «إنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً. . .» ٩٢، ٨٤ ابن مسعود
- «إنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً. . .» ٨٤ أبو الدرداء، أبو أمامة، واثلة، أنس
- «إنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ. . .» ٨٣ جابر بن عبد الله
- «إنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ. . .» ٨٢ سهل بن سعد
- «إنَّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال. . .» ٧٦ حذيفة
- «إنَّ الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحيّة. . .» ٨٣ عمرو بن عوف
- «إنَّ الله إذا أراد رحمة أمةٍ من عباده. . .» ٥٦ أبي موسى
- «إنَّ الله زوى لي الأرض. . .» ٦٢، ٧ ثوبان
- «إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً. . .» ١٩ أبو هريرة
- «إنَّ بين الساعة فتناً كقطع الليل المظلم. . .» ٧٦ أبو موسى

- «إِنَّ لكل شيء إقبالاً وإدباراً . . .» أبو أمامة ٨٩ ، ٨٧
- «إِنَّ لهذا الدين إقبالاً وإدباراً . . .» أبو هريرة ٨٨ ، ٨٧
- «إِنَّ هذه الأمة مرحومة عذابها بأيديها . . .» أنس ٥٤
- «بدأ الإسلام غريباً ثم يعود غريباً كما بدأ . . .» عبدالرحمن بن سنة ٨١
- «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً . . .» أبو هريرة ٨٠ ، ٧٧
- «تفترق هذه الأمة إلى ثَيْفٍ وسبعين . . .» - أثر - علي بن أبي طالب ٩٦
- «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين . . .» أبو هريرة ٤٩
- «دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم . . .» أبو هريرة ١٠
- «زويت لي الأرض حتى رأيت . . .» ثوبان ٦٢
- «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة . . .» سعد بن أبي وقاص ٧
- «سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . . .» أبو واقد الليثي ٦٦ ، ٦٥
- «سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدّق فيها الكاذب . . .» أبو هريرة ٧٧
- «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي . . .» أنس ٧٠
- «شفعت الملائكة وشفع النبيون . . .» أبو سعيد الخدري ٧١
- «طوبى للغرباء . . .» عبدالله بن عمرو ٨٥ ، ٨٠
- «عرضت عليّ الأمم، فجعل النبي والنبيان يمزّون . . .» ابن عباس ٥٥
- «فتنة الرجل في أهله وماله . . .» حذيفة ٢٨

- ٧٦ «كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي يغربل الناس عبدالله بن عمرو
فيه غربلة . . .»
- ١٠ «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم» البراء بن عازب
- ٥٧، ٥٦ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتهم .» المغيرة بن شعبة
- ٨٦، ٥٧ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق . .» ثوبان
- ٥٧ «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق جابر بن عبدالله
ظاهرين إلى يوم القيامة .»
- ٥٧ «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله . . .» معاوية
- ٨٩ «لكل شيء إقبال وإدبار» أبو أمامة
- ٥٧ «لن يبرح هذا الدين قائماً، ليقاتل عليه عصابة جابر بن سمرة
من المسلمين حتى تقوم الساعة .»
- ٥١، ٥٠ «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل . .» عبدالله بن عمرو
- ٦٣، ٦٢ «ليكونن من أمتي قوم يستحلون الخز» أبو مالك الأشعري
- ٦٨، ٢٥ «هذا سبيل الله . . هذه سبل على كل سبيل ابن مسعود
منها شيطان يدعو إليه . . .»
- ٦٨ «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد . .» أبو هريرة
- ٦٤ «والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر أبو هريرة
الرجل على القبر . . .»
- ٧٧ «يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه أنس
كالقابض على الجمر .»



فهرس الموضوعات(*)

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
تنبيه	٤
معنى الاختلاف	٤
أنواع الاختلاف	٥
الاختلاف سنة من سنن الله تعالى	٦
تحذير النبي ﷺ أمته من الاختلاف وأسبابه	١٠
مضار الاختلاف	١١
أسباب الاختلاف	١٢
معنى التفرق	١٥
ذم التفرق	١٧
أنواع الفرقة	١٩
حقيقة افتراق هذه الأمة	٢٠
حكم الفرق المتفرقة عن هذه الأمة	٢٢
تنبيه	٢٤
الإشارة إلى أن الحق واحد لا يتعدد	٢٥

(*) هذا الفهرس يحتوي لمجمل الموضوعات التي وردت في المقدمة، والمتمن، والحاشية.

٢٦	الفرقة الناجية
٢٦	الإشارة إلى تعيين الفرق
٢٧	بداية التفرق
٢٩	تنبيه مهم
٣٢	أسباب التفرق ونشأة الفرق الإسلامية
٣٥	نصيحة غالية للإمام البربهاري
٣٧	ترجمة موجزة للمصنعاني
٤٢	اسم المخطوطة ووصفها
٤٧	بداية النص المحقق، وذكر روايات حديث الافتراق
٥٣	* إشكالات حديث الافتراق
		الإشكال الأول: ما في الحديث من الحكم على الأكثر بالهلاك والكون في
٥٣	النار
		إجابة بعضهم على هذه الإشكالات بأن المراد بالأمة في الحديث أمة الدعوة لا
٥٦	أمة الإجابة
٥٦	مناقشة المصنف للإجابة من خمسة وجوه
٦٦	إجابات للمصنف عن الفرق الواردة في الحديث
٦٩ - ٧١	الشفاعة وأقسامها
		بيان أن افتراق الأمة وهلاك من يهلك ثابت في حين من الأحيان وزمن الأزمان
٧٣	وأدلة المصنف على ذلك
٧٧	الإشكال الثاني: تعيين الفرقة الناجية
		اختيار المصنف بأن الافتراق والهلاك يكون في آخر الزمان! ومناقشته في
٨٠	الحاشية
٨٠	ذكر أوصاف الفرقة الناجية
=		اعتراض ابن حزم بأن الزيادة بقوله: «كلها في النار إلا فرقة». موضوعه،

٩٩ - ٩٦ مناقشة ذلك في الحاشية .
٩٧ زيادة الثقات
١٠٢ فهرس المراجع
١١٤ فهرس الآيات
١١٦ فهرس الأحاديث
١٢٠ فهرس الموضوعات

